
هتلر ونحن
هنا برلين
حيّ العرب
بقلم
يونس بحري
اروع المذكرات السياسية والتاريخية في سلسلة شهرية
٥
وكلاء التوزيع في دنيا العرب والعالم
شركة فرج الله للمطبوعات



هنا برلين

حيّ العرب

جموع المذكرات السياسية والتاريخية في سلسلة شهرية

(٥)



حي العرب

اروع المذكرات السياسية والتاريخية
يكتبها في سلسلة شهرية

يونس بحري

الصحفي والدبلوماسي والسائح وامام جامع باريس ومفتي اندونيسيا ، ومستشار ملك ليبيا ، ومذيع راديو برلين في الحرب العالمية الثانية وصاحب "العرب" و"حي العرب" الرجل الذي يتقن ١٦ لغة ، وعبر مضيق جبل طارق سباحة ، فائزة بالدرجة الاولى بسباق دولي . زامل "غوبلز" وزير المانيا الرايخ الثالث وتحدث الى موسوليني وهتلر وقام بجولة حول العالم على الاقدام باسم "السائح العراقي" والرجل الذي كان اول من قال "حي العرب" وقال منه برلين "بلاد العرب للعرب"

الجزء الخامس

وكلاء التوزيع في دنيا العرب والعالم :
شركة فرج الله للمطبوعات



هتلر في موقف خطابي مروع

المارشال غورينغ يرحب بالمرشال بيتان !



لما سلمت فرنسا وقع المريشال بيتان رئيس الدولـــة الفرنسية المغلوبة صك الهدنة واقتسم مع هتلر فرنسا ، راضيا بنقل عاصمته الى فيش «مدينة المياه المعدنية» ويرى فـــي الصورة مريشال الرايخ الالماني غورينغ الظافر يرحب بمريشال فرنسا المغلوب بيتان.

الدوتشي موسوليني



الغوادوليوفكرانكو



كان الدوتشي موسوليني « يعارض » زميله فى السياسة وفي السلاح « الفوهرر » هتلر .. حتى ان الاخير لما غلب فرنسا وحطم جيشها اعلن موسوليني الحرب على فرنسا قبل اسبوع من القاءها السلاح ..

وكان هتلر يقول بعد ذلك :

اني ساطهر « جزمتي بعد الحرب ! »

مشيرا بذلك الى خارطة ايطاليا ..

بالرغم عن الدالة الكبرى التي كانت لهتلر على فرانكو يوم ساعده لكسب الحرب من الشيوعيين فى اسبانيا فقد راوغ فرانكو في اعلان الحرب على الحلفاء ... وبقي على الحياد .. واكتفى بضم طنجة الى حكمه . ضاربا بمطالب هتلر عرض الحائط ...

مارشال الرايخ !



قال ماريشال الرايخ هرمان غورينــــغ : ان طائرات الحلفاء لن تتمكن من الاقتراب الى اراضي الرايخ وانا حي ! قــال ذلك ابان قصف بريطانيا ... وبعد سنة كانـت طائرات بريطانيا تقصفنا فى برلين !!

حصل هــذا فى ١٩ تشرين الثاني ١٩٤١ ومع ذلك بقي ماريشال الرايخ الالماني حيا ((يحلق !!))

وزير دعاية الرايخ !!



الدكتور جوزيــف غوبلز وزير دعاية هتلر الذي فتح برلين وادخل هتلر فيها ، بدعايتــه القوية المنظمة النافذة .

كان اثقف رجل في الحزب النازي واكثرهم حبا بالنساء..

لم تسلم منه سيــدة عرفها ..

اللهم « الا عذراء قوس النصر » وذلك لكونــه ((اعرجا)) لا يستطيع صعود درجات القوس البالغة ١٣٠ مترا .

ايفا براون عروس البحر

خرجت الآنسة ايفابراون من مسبح «شفانَنفيردر» في بحيرة «فــانزي» ضاحية برلين الارستوقراطية .. والصورة تمثلها وهي تمر امام المعجبين بقوامها الفتان وبجسمها العاري الذي اثار في «الفوهرر» لواعج الغرام والهيام .

محور برلين ، روما ، طوكيو .



تمثل الصورة الاجتماع التـــاريخي المنعقد ببرلين لتوقيع معـاهدة «محور برلين ، روما ، طوكيو» التاريخية ، ويرى فيها «الزعيم» هتلر والكونت تشانو وزير خارجية موسوليني. وقد وقف مندوب اليابان يلقي خطاباً يمجد فيه «المحور» الذي صار أمراً مفعولاً !



القائد العربي فوزي القاوقجي وعقيلته الالمانية المحترمة السيدة انا ليز ، والسيد حميد الصافي مرافق القائد . فالاستاذ يونس بحوي « الجالس » في صورة تذكارية يوم زفاف القائد العربي ببرلين .

نحن في المانيا .

شباب الطليعة العرب مع هتلر

كيف كنا نعيش ، وماذا فعلنا ؟

شخصيات وتراجم عربية .

١٥ عاماً من شبابي .

لقد كنت اول عربي تعاون مع هتلر وبالتالي مع المـــانيا النازية .. وكان ذلك في ١٠ كانون ثاني ١٩٣١ ، حيث قمت بزيارة برلين ، وتعرفت على الدكتور جوزيف غوبلز ، ولم يكن غوبلز في ذلك الحين وزيراً لدعاية الرايخ الثالث بل كان يصدر جريدته الاسبوعية « ديرأنغريف » الهجوم : وكان نائباً عن برلين في « الرايخشتاغ » .. وبالاضافة الى ما تقدم كان يحمل لقب « غاولايتر » اي المحافظ او الوالي .. على مدينة برلـــين الكبرى ! وهذا اللقب منحه اياه (الزعيم) هتلر منـــذ شهر اغسطس ١٩٢٦ يوم ان بعثه الى برلين ليفتتح فيها ابواب الكفاح النازي ..

لقد عرفني المغفور له الامير شكيب ارسلان امير البيان

العربي على غوبلز !!

ولم ينفض عقد اجتماعنا الاول الا وكنا قد اتفقنا على ان اصدر جريدة عربية سياسية ببغداد .. وان اقطع صلتي بالمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود الذي كان قد اوفدني والشيخ عبد العزيز الرشيد المؤرخ الكويتي الكبير للقيام بالدعاية للحج في اندونيسيا !! منذ عام ١٩٢٩ ..

لقد سلخت ١٥ عاماً من شبابي في التعاون المطلق وبحرية تامة مع هتلر ، والمانيا النازية ، وقادة الحزب طائعاً مختاراً .. وبقيت ثابتاً في عملي ولم انفصل عنه وراء المذياع النازي .. اللهم الا في خلال فترتين !! الاولى بسبب خصامي مع الحاج امين الحسيني .. والثانية مع السيد رشيد عالي الكيلاني في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ .. اثر الخصام العنيف الذي ذر قرنه فيما بيننا في برلين « سأصف ذلك في كتاب قادم !! »

من مكة الى بغداد !

كان الشرط الاساسي لقبول تعاوني مع غوبلز وربط مستقبلي بعجلة الدعاية النازية العالمية هـو ترك خدمة الملك عبد العزيز آل سعود !!

وقد استغربت آنئذ فرض هذا الشرط علي .. اذ لم تكن هناك علاقة تربط الحزب النازي بالملك عبد العزيز. فالقيت السؤال المحير على غوبلز !!

فهب من مقعده واقفاً واشار بمسطرة طويلة بيضاء على خارطة كبرى للشرق الاوسط ، . وقد وضعت على عواصمها اعلام نازية صغيرة تتفاوت في الحجم بالنسبة لاهميتها في وجهة النظر

النازية ..

ثم ضرب غوبلز بالمسطرة على علم كان اكبر الاعلام الملصقة على الخارطة وقال :

من هنا يجبّ ان نبدأ !!

وتطلعت الى المكان الذي اشار اليه عميد الدعاية النازية .. فكان بغداد !!

احنيت رأسي موافقاً ..

ابتسم غوبلز وهو يردف قائلًا :

ان بغداد اليوم وغداً وفي المستقبل هي مركز الثقـــل في الشرق الاوسط كله .. ان هذه الرقعة من الارض (مشيراً الى نجد) لا فائدة ترجى فيها حتى ولو صارت جنة عدن ! اننا لو اردنا انشاء برلين ثانية في بلادكم لما وجدنا خيراً من بغداد .

وهكذا اصدرت جريدة العقاب ببغداد وهي تحمل صورة العقاب المشابه للنسر الالماني الهتلري « دير آدلار » تماما .. وكان لغوبلز ما اراد !

الى آخر يوم !

انني اذ اكتب هذا السفر من تاريخ حياتي .. وشطرا من تاريخ حياة واعمال الرجال والنساء الذين عملت معهم او كنت على صلة بهم من اموات واحياء .. فانني اكتب ويـــدي على قلبي .. محاسباً ضميري .. فالحقيقة والتاريخ علي دين والف دين .. خاصة وان هاتيك الاعوام التي قضيناها في المانيا ، قد صارت من حق التاريخ العربي .. وهذا الحق هو الذي دعاني لتسجيل احداث تلك الحقبة والخطوات التي مشيناها في دروب هتلر !

وازقة غوبلز .. واجواء غورينغ !

مشيناها خطى كتبت علينا — ومن كتبت عليه خطى مشاها

لقد كان تعاوني مع هتلر وقادة المانيا النازية تعاوناً صريحاً يقوم على الثقة المتبادلة وعلى المستوى العالي وقدم المساواة ..

وكنت كلما ارجع بالذاكرة الى مراحل هذا التعاون منذ ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٣١ الى يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٥ وهو آخر يوم القيت فيه المذياع جانباً .. والقى فيه هتلر مقاليد الحكم وصولجان الزعامة !! كنت استعرض شريط حياتي وهو يمر بسرعة البرق الخاطف .. فلم اجد فيه لحظة واحدة تنغص فيها صفو التعاون بيني وبين من تعاونت معهم من الالمان الهتاريين..

من اجل حرية العرب !

كنت اثير بغداد ، واستثير الرأي العام العراقي .. واقيم العالم العربي واقعده .. ليس حباً بزرقة عيون هتلر .. او لأن كتاب كفاحي قد استهواني ! او تأييداً لتعاليم الحزب النازي !! كلا .. والف كلا !

لقد اخترت المانيا وهتلر بالذات في وقت كان فيه العرب نهباً مقسماً بين الدول الاستعمارية وبين زعماء « الاستغلال » العربي الذين تعاونوا مع المستعمر بسخاء مفرط فسدوا آذانه ووضعوا فيها وقراً من دسائسهم ليحولوا دون سماع مطالب العرب التي كانت تستهدف الحرية والاستقلال .. ولا تزال ..

ومن اجل ذلك رفعت عقيرتي من برلين وتطوعت لكي استغل قوة جهاز الاذاعة الهتلرية اسطلها على الاستعمار فأخيفه واقض مضاجعه ، واقلل من غلوائه في الهيمنة على بلاد العرب

واهلها العرب جاعلا من فلسطين الشهيدة قميص عثمان .. ومن سوريا ولبنان والمغرب العربي عصاة الاستقلال العربي اهش بها في وجه الاستعمار واذنابه العرب .. وصار مذياع برلين العربي قبلة الانظار والاسماع !!

اعمال سرية وعلنية ..

كان تعاوني مع المانيا الهتلرية تعاوناً علنياً ذاع وشاع وملأ الاسماع .. وصارت عبارة ـ هنا برلين . حي العرب ـ التي كنت استهل بها خطبي واحاديثي واذاعاتي في خمس اذاعات كل يوم .. تسير في العالم العربي والدنيا بأسرها مسير الشمس في الشرق والغرب !!

لقد كانت اعمالنا تشمل طائفة كبرى من الاعمال التي تتفرع بالطبع عن اعمال الاذاعة . فلقد كان الرسل والمندوبون الذين زرعناهم في العواصم العربيـــة والمغرب العربي يؤلفون خطراً داهماً على الحلفاء .. بل كان خطرهم اشد واكثر من الجواسيس ورجال الطابور الخامس الذين يبثون عادة بين صفوف العدو ..

فالجواسيس تنحصر مهمتهم في جمع المعلومات وارسالها ..

ولكن رجالنا الذين اخترناهم بعد طول تجربة كانت لهم مهام سرية دقيقة للغاية .. اولها موافاتنا بالانباء والمعلومات الصحيحة عن مواطن الضعف في سياسة البلاد العربية الكائنة تحت النفوذ البريطاني والفرنسي وكذلك الايطالي .. والهولندي ايضاً .

ومنها اقامة المظاهرات والنسف والتخريب وعلى الأخص في المنــاطق الستراتيجية بالنسبة لنا نحن العرب بفلسطين وسوريا ولبنان . وقطاع الموصل حيث توجد ابار النفط فيهـــا وفي

كركوك .. والبصرة الذي كان الميناء الرئيسي حيث جهزت منه روسيا بالذخائر والعتاد الحربي ضمن مشروع « الاعارة والتأجير .. » ومن البصرة ايضاً كانت الامدادات تتدفق الى العراق فمصر عبر فلسطين لتقوية الجيش الثامن البريطاني الذي سحقه المريشال روميل ثعلب الصحراء !

باكورة العمل !

لما وصلت برلين في الخامس من شهر نيسان ١٩٣٩ شعرت وانا انزل من طائرة - لوفت هانزا - بأنني قد انتقلت من عالم الى عالم جديد لم اكن قد عهدته من قبل تماماً !

نعم لقد زرت برلين مراراً عديدة ولي فيها ذكريات حلوة يلذ لي ان استعيدها كلما آنست في نفسي ميلاً لأستقراء صفحات الماضي الحافل بالمغامرات والمبهجات والمزعجات .

لقد وصلت برلين في هذه المرة لأعمل .. ولأضرب بسيف الأثير حصون الاستعمار .. لا لكي ادكها دكاً .. بل لأهيء الاسباب لمن يدكها من الرجال الذين عاهدوا الله والوطن العربي على استغلال قواهم وقوتهم المادية والمعنوية ، والوصول الى الهدف العربي من أقرب الطرق ..

كان اول شيء فعلته بعد الاسبوع الاول من شروع اذاعة برلين العربية بالبث ان ابعث بعدد من اصدقائي العرب الخلص الى مختلف العواصم العربية في المشرق والمغرب لأختيار الاماكن التي يجب ان يعمل فيها مراسلونا المغاوير وسلمناهم آلات اخذ وارسال على الكهرباء والبطريات . وحملناهم جوازات سفر ديبلوماسية لكيلا تفتش حقائبهم وامتعتهم في البلاد التي يمرون

بها او ينتقلون اليها .

متعاونون متطوعون

لقد بلغ الحماس اشده بين عدد كبير من الشباب العربي الى درجة حملتهم على التطوع مجاناً لمراسلتنا والاتصال بنا وتزويدنا بالانباء والاخبار والمعلومات الثمينة التي كانت مواداً دسمة لاذاعتنا العربية ..

ولعل من المفيد ان اذكر ان هذا الشباب لم يقبل منا اي ثمن او مكافأة على تعاونه معنا ، بل ان وحدة العقيدة في الدفاع عن الصالح العربي المشترك هي التي دفعت بهؤلاء الشباب لركوب متن الخطر ووضعهم انفسهم تحت نيران ورصاص الحلفاء ..

لقد كانت انباء ومراسلات هؤلاء الشباب تصلنا عن طريقين: طريق مباشر ، وطريق غير مباشر فالذي يتصل بنا مباشرة يكون اتصاله بواسطة مندوبينا ومراسلينا السريين .

والذي كان يتصل بنا بطريق غير مباشر فكان عليه ان يبعث بحصيلته الينا عن طريق استامبول حيث كان مراسلنا فيها شخصية عربية كبيرة ، وكان يجمع ما يحصل عليه يومياً ويسلمه الى اعوان ووكلاء القنصلية الالمانية في استامبول . ثم ترسل القنصلية الينا رزمة الاذاعة العربية بما فيها من رسائل وصحف وانباء في البريد الديبلوماسي (كوريي) صباح كل يوم بالطائرة .

تسلسل الحوادث

انني في هذه الحلقة من سلسلة كتب هنا برلين ، حي العرب سأسرد الاحداث والحوادث العربية تباعاً ، وليس على غرار الكتب الاربعة التي مرت قبل هذا الكتاب ، وذلك لان الموضوع

موضوعا عربياً يحتاج فيه البحث الى ربط مـاجريات الاحوال بعضها ببعض لتبقى الدراسة متسلسلة وكأنها صورة حية لنا نحن العرب الذين عشنا ايام الحرب ودمنا على اكفنا مدة سبعة اعوام عجاف كانت من الدهر شيئاً مذكوراً ..

لقد كانت الكتب الاربعة السالفة من سلسلتي هذه بمثابة عملية جس نبض القارىء العربي لمعرفة ميله وذوقه !!

اما وقد جسست النبض، فعرفت من شدة الاقبال على مجموعتي هذه ماذا يريد القارىء ..

واي لون من المواضيع يفضل ، فانني سأشبع نهمه ، فانا لا اكتب لارضاء القاريء فحسب بل لأسجل وقائعي ووقائع غيري من عرب والمان وغيرهم ممن كانوا على صلة بالحرب العالمية الثانيـة وبأذاعتنا العربية من برلين .

هتلر باللباس العربي

كان اول شخص عربي اتصل بنا ونحن لا نزال في الشهر الأول من عمر الاذاعة العربية من برلين الصديق الحاج ابراهيم قرنفـل من بيروت – لبنان !!

فلقد كتب لي الحاج ابراهيم رسالة مطولة طافحة بالانبـــاء والحوادث .. أذعتها مشفوعة بالشرح والتعليق ، وكان لحوادثه الوقع المستحب على اذن السامع العربي .

ان الحاج ابراهيم قرنفل كان يكتب الى هتلر رسالة واحدة في كل عام منذ سنة ١٩٣٦ اي بعد دورة الاولمبياد العالميـة في برلين ، وقد حدد موعد رسالته في يوم عيد ميـــلاد هتلر في ٢٠ نيسان من كل سنة !!

لقد شرعنا بالاذاعة العربيـة في يوم ٧ نيسان ١٩٣٩ وفي يوم ١٨ نيسان ١٩٣٩ سلمني ساعي البريد طرد كبير من بيروت وهو مرسل بالطائرة !

وفتحت الطرد فوجدت فيه رسالة الى « الزعيم » هتلر ... ورسالة الي "شخصياً .. وتحت الرسالتين وجدت كسوة عربية فاخرة من الطراز الذي يرتـــديه امراء العرب ، عباءة سوداء مزركشة بالقصب المذهب ، وعقـال مذهب على غرار اشراف الحجاز ..

لم اتمالك نفسي من شدة الضحك عندما قرأت رسالة الحـاج ابراهيم قرنفل الذي ارسل هذه الهـدية الثمينة الى هتلر بمناسبة عيد ميلاده !! ذلك لانه يرجوني ان اطلب الى هتلر بعد ان اقدم اليه الهدية القرنفلية ، ان يلبس الكسوة العربيـة ويتصور بها .. ثم ابعث بالصورة الى بيروت .. الى الحاج ابراهيم قرنفل !

عند هتلر !

حملت رسالة السيد قرنفل مع الهدية المرسلة الى هتلر ، وقدمت الرسالة الى الهر لاميرس رئيس قصر مستشارية الرايخ بعد ان كنت ترجمتها الى اللغة الالمانية لأن السيد قرنفل كتبهـا باللغة العربية و كأنه يريد ان « يعرب » هتلر !!

ابتسم الهر لاميرس ، وقال ان صاحبك هر قرنفل قد عودنا على رسائل التهنئة « للزعيم » في عيد ميلاده .. ولكن هذه اول هدية عربية من نوعها تصل الى « الزعيم » ثم اردف قائلا :

سأعرض الامر على الفوهرر !

وبعد نصف ساعة عاد الهر لاميرس ، واشار الي بيده طالباً

ان اتبعه الى مكتب الزعيم ! وتقدمت والى جـــانبي الجنرال فيغلاين رئيس تشريفات هتلر وزوج اخت ايفا براون . ومن ورائه احد ضباط حرس الـ S.S. وهو يحمل هدية الحـــاج ابراهيم قرنفل الى هتلر .

كان هتلر واقفاً وعن يمينه وقف الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ وهو يبتسم لي منشرح الخاطر .. ورفعت يدي اليمنى محييا بالتحية الهتلرية .. وانطلقت تحية « الزعيم » من فمي كطلقة مدفع ! هايل هتلر !..

ومد هتلر يده اليمنى لمصافحتي وهو يقول :

اخلص التهاني بعملك الجديد .. انت رفيقنا في السلم !!

قلت : وفي الحرب ايضاً !

قال : لقد بلغتني رسالة الهر قرنفل ، انه عربي كريم .

وعندئذ تراجعت الى الوراء خطوتين ، فلقد صار البروتوكول في حضرة هتلر كما كان في عهد القياصرة الالمان ينفذ بنفس الطريقة !' فكان على الزائر الا يدير ظهره الى « الفوهرر » فيتراجع ووجهه متجها الى هتلر .. وهذا ما حمل هتلر على ان يجعل مكتبه على اليمين قريبا من الباب !

البروتوكول المنحوس .

وحملت الهدية وقدمتها الى هتلر .

واخذ « الفوهر - » يفحص القطع واحدة فواحدة .. وهو يبدي اعجابه الشديد بما رأى .. ثم سألني كيف يمكن لبس هذه المجموعة الفاخرة من الملابس العربية .

واريته كيف تلبس ، فصفق بكلتـــا يديه .. وربت على

كتف غوبلز وهو يقول : انك تصلح ان تكون شيخاً عربياً ...
والتفت الي قائلاً : انا اشكر صديقك قرنفل على هديته وأنا آسف لعدم استطاعتي تلبية طلبه ، فالبروتوكول يحول دون ذلك ولكنني اقدم له صورتي هذه ، ارجوك ان تبعث بها اليه !.
وبعثت بالصورة الى الحاج ابراهيم قرنفل الى بيروت ..
وبعد مرور عاماً على هذا الحادث التاريخي زرت بيروت لاول مرة بعد الحرب العالمية الثانية وكنت قد حللت ضيفاً على رفيق السلاح المجاهد عفيف الطيبي صاحب جريدة اليوم البيروتية ..

وفي اليوم التالي لوصولي زارني في مكتب اليوم رجل لا اعرفه ، وما ان رآني حتى راح يشبعني عناقاً وتقبيلاً حتى لقد كدت اخاله انه قد تقمص روحي ، لأنني الرجل الوحيد بعد « الزعيم » فخري البارودي في العالم العربي الذي لا ينجو من قبلاته احد .. وكذلك الزعيم سليم عبد الرحمن ..
وصاح الاستاذ عفيف الطيبي بصوته المدوي معرفاً القادم الجديد :
الحاج ابراهيم قرنفل !!
تصاعد الدم الى رأسي . واكتظت الذكريات في مخيلتي وهي تتدافع لتفسح المجال لصاحب هذا الاسم لكي استعرض شريط حادثة معي .

وكأن الحاج ابراهيم بجسمه الهائل ورأسه الضخم فطن الى ما شغل بالي .. فقال وهو يقهقه نعم انه أنا .. انا هو ذلك الرجل الذي كلفك بتسليم هديتي الكسوة العربية الى هتلر واخذ صورة له بالملابس العربية ..

اجل ان هتلر لا يزال حيا .. واعني به هتلر علي السهيل في بغداد .. وليس هتلر « زعيم » المانيا النازية !

علي ماهر المصري

لقد كنت وانا على رأس الاذاعة العربية في برلين أتسلم انباء وحوادث وصحف في كل يوم من القاهرة .. كانت تصلني بالطائرة بطريق استامبول وعليها طوابع بريدية تركية بمبالغ ضخمة ..

واستمر الحـــال على هذا المنوال زهاء ستة اشهر دون ان اعلم من هو المرسل المتطوع الذي يصرف هذه المبالغ الطـائلة ويعرض نفسه للخطر بدون اي مقابل او اجر .

كانت اخباره صحيحة ، لانني كنت اقارنها مع اخبار العملاء السريين الذين كانوا يراقبون حركات علي ماهر « باشا » وسكناته ، فلقد اتصل بالمانيا – عن طريق المرحوم الامير شكيب ارسلان – في ايام انتصارات المريشال روميل في ليبيا ، فقد حاول فعل شيء مع الرايخ الثالث الالماني .. لحفظ استقلال مصر والبلاد العربية .

ولكن الالمان لم يعيروا اتصالات علي ماهر الاهمية المنتظرة ، لانهم كانوا يرون في شقيقه احمد ماهر الكماشة التي تلتقط النـار وتحترق في سبيل تأييد البريطانيين !!

لقد سألني هانز فريتشه ما هو رأيي في علي ماهر !!

قلت انه سياسي عتيق من عباد الرجال الالهة !!

لم اكن اعرف علي ماهر شخصيـــاً .. ولكنني جمعت عنه الشيء الكثير من المعلومات ، فالاعيبه السياسية الكثيرة المتناقضة تفصح عن حقيقته ودخيلة مرامه ، فوضعت نقطة سوداء على اسمه بالرغم عن التوصيات الملحة التي كتبها لنا الامير شكيب ارسلان

من مقره في جنيف للأستفادة من علي ماهر ، وجعل تعاونه معنا اساساً للعلاقات مع مصر في المستقبل .. وقد اكد لنا هذه النواحي السيد يحيى البدراوي الذي كان يراسلنا من القاهرة قبل الحرب ، ثم أخذ يراسلنا من استامبول في خلال الحرب العالمية الثانية بهمة قعساء لا تعرف الكلل او الملل.

وقد صرف اموالاً طائلة من ثروته في سبيل التعاون معنا .. حتى انه عرض نفسه للخطر ، فسجن مرتين ، ولولا صهره زوج أخته فؤاد سراج الدين الامين العام لحزب الوفد المصري لنفي مثل صديقه علي ماهر الى فلسطين ، وخلاصة القول فانني قد حلت دون تعاون النازيين مع علي ماهر واحبطت المشروع قبل ان يتبلور !!

ضمان استقلال مصر .

في ٢٠ مايس ١٩٤١ تسلمت من المغفور له الامير شكيب ارسلان رداً على رسالة سابقة كنت قد بعثت بها اليه اعلمته فيها بأن دول المحور – المانيا وايطاليا – قداعلنتا تصريحاً رسمياً ضمنتا فيه استقلال مصر والبلاد العربية .. وقد اذعت شخصياً هذا التصريح الرسمي من اذاعة برلين العربية وهذا نصه :

ان الجيش الالماني اذ يدخل الاراضي المصرية انما يدخلها « محرراً » لا فاتحاً .. وان المانيا ودول المحور تحترم استقلال البلاد العربية وتضمن هذا الاستقلال ..

كاناريس يهدد !!

وما ان اذعت هذا التصريح الرسمي الا ودعاني البروفيسور جوردان عميد البعثة الجيولوجية الالمانية للحفريات في آثار نينوى

«الموصل» عاصمة آشور ، وكان الى جانب عمله الرسمي هذا يشغل منصباً خطيراً في ادارة الاستخبارات الالمانية التي كان يشرف عليها امير البحر كاناريس الذي كان من ألد اعــداء «النازية» وخصوم هتلر وهملر .. اجل دعاني جوردان الى تناول الشاي على مائدته ، وقال لي بعد مقدمة طويلة عن الوضع في البلادالعربية ومطامع ايطاليا الفاشيستية فيها ..

ثم استطرد قائلا : هل تعرف امير البحر كاناريس ؟

قلت : لا والله .. لم يحصل بعد شرف التعرف الى حضرته !. فمن هو كاناريس ؟

وفي الواقع فانني الى ذلك التاريخ لم اكن قد سمعت بهــذا الاسم الغريب ..

قال : ان امير البحر كاناريس غاضب عليك وهو يهددك بالنفي من المانيا !! فيما لو واصلت مساعيك لاستصدار مثل هذه التصريحات التي اذعتها البارحة من الخارجية الالمانية !!

قلت : انني اقوم بواجبي المفروض علي كعربي ، فاذهب الى أمير بحرك ، وقل له ليفعل ما يشاء . اننا هنــا وسنبقى !. «ويرزيند ! اوند ويربلايبن !..»

الامير شكيب ارسلان والتصريح

وفي يوم ٢٥ مايس ١٩٤١ تسلمت من الامير شكيب ارسلان حديثاً أعده لأذيعه شخصياً بأسمه من اذاعة برلين العربية تعليقاً على تصريح المانيا الرسمي حول استقلال مصر والبلاد العربية ..

وقد كان الامير شكيب رحمه الله يلح على هتلر وموسوليني وهما من قدامى اصدقائه الاوائل ، بوجوب منح مصر والبلاد

العربية « ضمانات » يتقيدون بها ازاء العرب بتصريح رسمي لا يذاع من الاذاعة فقط بل يبلغ خطياً الى الدول العربية بعد ان ينشر في الصحف ..

والى القراء نص المقطع الاول من حديث الامير شكيب الذي أذعته من راديو برلين على الساعة السابعه من مساء يوم ٢٥ مايس ١٩٤١ . قال امير البيان :

ـ ان اعظم حادث وقع في هذه الحرب بالنسبة الى الشرق والى البلاد العربية ، والى الاسلام عموماً هو هذا التصريح الذي صدر عن دولتي المانيا وايطاليا لدن دخول جيوشها الى الاراضي المصرية(وعلى رأسها الماريشال رومل) بأن دخول جيوش دولتي المحور داخل الحدود المصرية ،لا يعني ان هاتين الدولتين محاربتان لمصر او عدوتان لاهل مصر ، بل كان ذلك لاجل طرد الانكليز المعتدين على مصر ولأعادة مصر الى اهلها لا ينازعهم في استقلال بلادهم منازع .. وبينما هذه الجيوش المحورية تتقدم في مصر لطرد الانكليز منها تعلن دولتا المانيا وايطاليا بالاتفاق اعترافهما باستقلال مصر التام الكامل وضمانها له ، وبأنهما ستعملان لقطع جميع الروابط التي كانت تربط مصر ببريطانيا . وتعد دولتا المحور ـ المانيـــا وايطاليا ـ الامة المصرية من الامم المستقلة ذوات السيادة المطلقة والسلطان القومي الذي لا تشوبه شائبة ، وجميع سياستهما بأزاء مصر مستوحاة من مبدأ (مصر للمصريين).

مصر للمصريين !

لقد وقع هذا التصريح من هاتين الدولتين منـــذ وطئت

جيوشهما الاراضي المصرية على اثر انهزام الجيش البريطاني الثامن من بير حكيم وطبرق وحلفايا والسلوم .. وقد مضت مدة من الزمن ومذياع برلين يكرر اذاعة هذا البيان بالعربي وبغير العربي رسمياً وعلى رؤوس الاشهاد .. وفي كل ضحوة وعشية حتى لا يبقى احد على وجه الارض غير محيط علماً بأن المانيا وايطاليا تعرفان المملكة المصرية بحدودها التاريخية دولة مستقلة استقلالا تاماً كسائر الدول الحرة المستقلة ذوات السيادة التامة الناجزة وحتى لا يبقى وجه لانكليز ولا لحلفاء الانكليز ولا لمن باعوا ضمائرهم من الانكليز بدراهم معدودات ان يكابروا في هذا الاعتراف الرسمي الصريح الصادر من دولتي المحور الذي سيكون بدون شك مشفوعاً باعتراف مثله من جانب الدولة اليابانية ثالثة دول المحور .. ومن جانب سائر الدول المرتبطة بدولتي المحور في الحرب والسلم .. وهكذا فان مصر للمصريين ..

بلاد العرب للعرب

لقد اوحى لي تعليق استاذنا الامير شكيب ارسلان على تصريح المحور رسمياً بضمان استقلال مصر عبارة صارت مضرب الامثال يرددها العرب في كل مكان ..

وكما اوحى لي راديو برلين العربي عبارتي الشهيرة ـ هنا برلين .. حي العرب .. كذلك اوحى لي الامير رحمه الله ان اهتف بالعرب قائلا :

ـ بلاد العرب للعرب !

وصرت منذ ذلك اليوم أردد بدون انقطاع :

ـ بلاد العرب للعرب .

ان هذه التعابير التي انتشرت في العالم العربي بسرعة البرق الخاطف قد كانت ولا تزال في غاية الاهمية لأن الدعاية البريطانية لم تزل من بداية الحرب العالمية الثانية تكرر بمذايعها المختلفة وصحائفها المنشورة في مختلف الاقطار بأنه ان كان المصريون ومن يليهم من العرب يميلون الى المانيا والمحور ويرجون لهم الطائلة في هاتيك الحرب التي طبقت المعمور املا بأن تكون نتيجة تملص مصر والبلاد العربية من القيود البريطانية التي كان يرسف فيها سكان بلاد العرب فقد اخطأت في حسبانها ، فان مصر والعرب لا يقبلون استبدال مستعمر بمستعمر آخر ..

فبلاد العرب ليست ملكاً مشاعاً بين بريطانيا وفرنسا او المانيا وايطاليا ..

ان بلاد العرب للعرب !! وللعرب وحدهم دون غيرهم !

الكابتن باري !!

بعد عشرة ايام من شروعنا بالاذاعة العربية في برلين زارني الدكتور هيسلر مدير البرامج للموجة القصيرة في محطة الاذاعة الالمانية وكان يحمل رتبة كبيرة في جيش الصاعقة الهتلري توازي رتبة امير لواء .. وكان معروفاً بميوله الطيبة نحو العرب، تعرفت عليه في برلين سنة ١٩٣٦ ابان دورة الاولمبياد العالمية .. حيث عملنا معاً على تنظيم مؤسسات الشباب العربي في العراق على غرار مؤسسة الشباب الهتلري .. فتحدثنا عن هاتيك الايام ، وكيف ان حركتنا هذه انتجت نظام « الفتوة » في العراق اذ كان صاحب الفكرة في الواقع هو الزميل الاستاذ تيسير ظبيان الصحفي السوري المعروف . اذاعها لأول مرة على صفحات

جريدتي العقاب آنذاك ببغداد في سنة ١٩٣٥..

فاقترح علي هيسلر ان انضم الى جيش الصاعقة ، وان أكون على رأس كوكبة من الشباب العرب الموجودين في المانيا اختارهم شخصياً من بين الصالحين للعمل ، ثم اردف قائلاً : ان الجنرال فيغلاين من قادة جيش الصاعقة ورئيس تشريفات «الزعيم» هتلر هو الذي اقترح ذلك .. فاذا وافقت ! فانت اعتباراً من هذه اللحظة (الكابتن يوهانس باري) ! وبحركة لولبية التفت اليه وقلت موافق ..

ووقف الدكتور هيسلر واخرج من جيبه تذكرة هوية عسكرية كان قد وضع عليها صورتي ومختومة بختم القيادة العليا لجيش الصاعقة ، والتذكرة تعتبر جوازاً ديبلوماسياً —باس بارتو— يحق لي بموجبه اختراق الحواجز البوليسية والعسكرية في كل مكان يرفرف عليه العلم الهتلري !

ضحيتي الاولى !

لم أتمالك نفسي في اليوم التالي وانا ارتدي الكسوة العسكرية لجيش الصاعقة والاوسمة والنياشين التي يعلوها الصليب الحديدي تزين صدري .. من الضحك !

اجل ضحكت وأنا انظر الى شكلي الجديد في المرآة ..فلقد كنت ابدو وأنا بهذا الزي والمظهر كأي ضابط جرماني بروسي —يونكرز— لا تنقصني سوى « ندبة الشيش » على خدي الايمن و«سانتيمترين» لأصير ضابط .S.S تماماً.. لأن الطول لا ينبغي ان يقل عن ١٨٠ سانتيمتراً !!

وما ان انتهيت من ارتداء الكسوة ، وأمسكت بسيفي

القصير المذهب المدلى من حزامي المزركش الى جانبي الايسر حتى جاءت خادمتي « برتا » وما انرأتني بهذه الصورة حتى أغمي عليها في التو واللحظة .. وما كدت ان أمد يدي لايقاظها حتى قرع جرس الباب الخارجي فتركتها ولما فتحت الباب وجدت الدكتور هيسلر واقفاً وهو يرتدي كسوة امير لواء . S.S

وعندها انتبهت بأنني دونه رتبـــة فوقفت وقفة الاستعداد ورفعت يدي بالتحية وأنا أردد :

-- هايل هتلر !

رد التحية ودخل .. وكانت برتا لا تزال مسجاةعلى الارض وهي في حالة غيبوبة شنيعة ! فاسعفناها بالمنعشات الى ان افاقت وهي تتمتم يا إلهي .. لماذا تخيفني هكذا يا هر بحري ؟

شرحت للدكتور هيسلر قصتهـــا فقطب جبينه عابساً وهو يقول : هـــدئي روعك يا سيدة .. ثم وضع اصبعه على شفتيه ولسان حاله يقول لا تنبسي ببنة شفة لأحد ! أفهمت ؟ قالت نعم وهي تبحلق في وجهي وفي ملابسي !!

عمـل مزدوج !

قال الدكتور هيسلر اننا ذاهبان الى مقر الجنرال شيلنبرغ رئيس دائرة الارتباط السياسي بالسفارات والمفوضيات الاجنبية – أو بعبارة اصح ادارة مكافحةالجاسوسية الديبلوماسية .. وهي ادارة تناقض ادارة امير البحر كاناريس التابعة لمكافحةالجاسوسية العسكرية ..

قلت وما هي العلاقة بيني وبين الجنرال شيلنبرغ ؟

انني رئيس قسم الاذاعة العربيةفي برلين .. وهو رئيس دائرة

الارتباط السياسي في السفارات والمفوضيات الاجنبية اي السلك الدبلوماسي في برلين !! وفي الخارج ..

قال ان هناك ارتباطاً وثيقاً بين عملك وبين عمله !!

قلت ماذا تعني ؟ انني على أتم استعداد لخلع كسوة الـ S.S. والعودة الى حياتي السياسية المتواضعة والعيش بدون ان احشر نفسي في امور لا ناقة لي فيها ولا جمل ولا افهم منها اي شيء ! فانا داعية فحسب ولست بجاسوس يعمل لحساب دولة دون اخرى !

قال هيسلر وهو يضحك، هون عليك فليس الامر كما تتصور.. وليست القضية قضية تجسس !

ودخلنا على الجنرال شيلنبرغ.. فقال وهو يبتسم بدون مقدمة .. ياكابتن باري اننا في أمس الحاجة اليك .. ارجوك ان تكتب لنا تقريراً عن الرجـــال الديبلوماسيين العرب .. وعن الديبلوماسيين الشرقيين الممثلين في المانيا .. الى جـانب عملك في الاذاعة .. اننا نريد ان نتعرف على اصل هؤلاء وفصلهم !!

مع البروفسور دوفيفات!

وبعد ثلاثة ايام دعيت الى فندق سبلاناد الانيق لتناول الشاي على مائدة البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافـة في جامعة برلين، وكان قـد سجلني في الاسبوع المنصرم تلميذاً في الصف الاول للحصول على شهادة الدكتوراه في الصحافة .. وكنت العربي الوحيد في هذه الكلية !

لقد كان البروفيسور دوفيفات من ألد أعـداء الشيوعيين، واليهود .. وفي الوقت نفسه يكره « النازية » ويكره « الفرنسيين » ويميل بكل قواه وبصراحة الى الانكلوسكسون .. لقد درس

فنون النقد والتقريض في جامعات لندن واكسفورد وفي جامعات يل وهارفاد باميركا ، وفضلاً عن ذلك فهو مستشرق أغرم بالاتجاه الانتقادي في شعر ابي العلاء المعري والمتنبي والجاحظ وبالشاعر النقاد المزال فولتير الفرنسي ..

لقد عرفت البروفيسور دوفيفات في معرض باريس الدولي عام ١٩٣٧ وفي الجناح العراقي الذي كان يشرف عليـــه الدكتور عبد الاله حافظ « طبيب الاسنان » وهناك في المعرض القى علي أول درس في الصحافة .. أو بعبارة أصح في النقد والتقريض!

وتكررت اجتماعاتنا .. واصطحبته لزيارة مرابـع الكتبية والجزائر .. وجامع باريس ومطعم الجامع ..

نصائح وارشادات

لقد استحوذت على قلب البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافة بجامعة برلين ، وحصلت على ثقته التامة ..

وفي ليلة حمراء من ليالي باريس ونحن جالسين حول مائدة عامرة بما لذ وطاب من المآكل والشراب نتجاذب اطراف الحديث عن الحركات الثورية عامة وعن الحركة النازية خاصة .. قـال البروفيسور وهو يرتشف جرعة من نبيذ بوردو الاحمر المعتق :

لقد بدأت النازية بداية حسنة ، وهي اليوم تتأرجح بـين استعمال العنف والمقاومة السلبية مع كتلتين هائلتين من البشر . ففي الشرق الكتلة الشيوعية الرعنـــاء .. وفي الغرب الكتلة الانكلوسكسونية الواعية ! اضف الى ذلك كتلة ثالثة كبرى لا حدود لها ولا مركز ثابت وهي طاقة مدمرة مخربة تعمل سراً وعلانية ضد الحركة النازية واعني بها « اليهودية العالمية » !

واردف البروفيسور دوفيفات قائلا : ان في استطاعة هتلر ان يتفادى خطر الكتلة الشرقية والكتلة الانكلوسكسونية مجتمعتين او على انفراد .. ولكنه لن يقدر على الكتلة الثالثة الكبرى لا لأنها تملك اسلحة افتك أو جيوشاً أقوى .. بل لمجرد كونها تملك صحافة واسعة الانتشار وفي كل مكان وتمتلك ناحية النقد والتقريض مع حيلة وتلفيق وابداع في الاختلاق !

مراسل حربي

وفي برلين استقبلني البروفيسور دوفيفات في القاعة الكبرى بفندق سبلاناد وكان وحيداً ، فلم استغرب ذلك ، ولم أوجه اليه أي سؤال ، فلقد تعودت منذ اول علاقتي بالقادة النازيين الا اسأل شيئاً .. والا اتكلم الا عندما اخاطب ، وعندئذ فقط اناقش وابحث بحرية وبصراحة ..

قال البروفيسور وهو يسكب الشاي في فنجاني ، ان ادارة مكافحة الجاسوسية الهتلرية التي يشرف عليها امير البحر كاناريس قد اتفقت معي على انشاء دورة تدريبية لاعداد طوائف من المراسلين الحربيين للاذاعة والصحافة .. وقد اقترحت ان تكون انت العربي الاول الذي يجب ان يدخل الدورة الاولى لتساعدني في المستقبل على تدريب المراسلين الحربيين العرب الذين نريد ارسالهم الى مختلف الجبهات !

لم اتردد في قبول المهمة الجديدة ، فان روح المغامرة المتغلغلة في قرارة نفسي قد دفعتني لأكتشاف آفاق جديدة ما كانت تخطر لي على بال .. خاصة وان العمل الجديد يتفق وعملي في الاذاعة والصحافة !

طفق البروفيسور يتحدث وكأنه أمـام الطلبة يلقي عليهم احدى محاضراته القيمة على مدرج الجامعة عـــن اهمية المراسل الحربي ، وكيف يجب ان يعمل .. وان يلاحظ ويراقب !

كويك بريشتو

ان المراسل الحربي يجب الا يحمل ورقاً أو قلما وهو يعمل في خطوط القتال الامامية .. فهو كالجاسوس الذي يقع في الفخ او في الأسر .. يجب ان يقبض عليه وهو خالي الوفاض ! لا شيء مدون عنده ، بل يدون كل ما يرى ويسمع في ذاكرته التي يجب ان تستوعب كل شيء مع دقائق الموقف..ووقائع الصراع!

لا جدل في ان مهمة « كريك بريشتو » المراسل الحربي هي من اصعب وأشق المهن ، فلقد طالت دورة التدريب التي دخلتها ستة اشهر في (سمينار) خاص تابع لكلية الصحـافة ، وكانت دروسنا النظرية تشمل التبحر في اسماء المواقع والقرى والمدن على الخارطة ، وحفظ اسماء جميع الاشياء التي تقع عليهـا العين بلمح البصر ، مع وصف عدد النوافذ والابواب التي نمر بهـا من مدخل الجامعة الى كلية الصحافة فالسيمنار الخاص الذي كنـا ندرس فيه ..

اما الدروس العملية فكانت منحصرة في حضور المنـاورات العسكرية الحقيقية التي كانت تجري في ضواحي برلين الكبرى ، فنصف سير المعارك الحربية ومدى تعاون القوات الجوية والبحرية مع القوات البرية بمختلف اسلحتها .

وهكذا اعطينا فكرة نظرية وعملية عن مهمة المراسل الحربي العويصة التي تتطلب سرعة الحركة والتنقل من خـط الى خط

تحت وابل القنابل المنهمرة من الطائرات ومن مدافع وأسلحة العدو على اختلاف عياراتها وحجومها ..

اكثر من جاسوس !

والمطلوب من المراسل الصحفي ان يكون حاضر الذهن ، سريع البديهة ، قوي الجنان ، لا ترمش له عين امام المرئيات والاهوال مهما تعاظمت ، وان يعلم علم اليقين بأنه لم يرسل الى ميادين القتال ليكون في « نزهة » يغير فيها « الهواء » بل أرسل ليراقب قوة العدو .. ومواطن الضعف عند الطرفين المتحاربين سواء في القيادة ام بين الجنود ! انه شاهد عدل ، يروي قصة يومه للقيادة العليا بواسطة رئاسة قسم المراسلين الحربيين التي ترفع تقاريرها في كل ساعة .. او عندما تتوفر لديها المعلومات تباعاً وبالمراسلات الخاصة .. فاذا آنس المرجع المختص في المعلومات الواصلة اليه ميلاً لنشرها كلها او بعضها على الرأي العام . فان الجواب يكون هكذا مثلاً :

- تقرير رقم ٢٠ تحذف عبارة كذا وكذا من صفحة ٩ .. وتضاف عبارة كذا وكذا الى آخر الصفحة ١١ .. ثم توضع الصيغة وترسل الى ادارة « دراتلوزا دنيست » اي ادارة اللاسلكي لتقوم بدورها بتوزيعها على الاذاعات والصحافة ووزارات الدعاية والخارجية والقيادات الالمانية لمختلف القوات المسلحة ، ووكالات الانباء الالمانية والأجنبية ..

ومن اهم اعمال المراسل الصحفي ان ينـدس بين معتقلات الأسرى يتحدث الى الجنود والضباط والقـادة المأسورين وهو يرتدي ملابسهم ويحمل في السلسلة المعلقة في عنقه رقمـه واسم

وحدته والفوج التابع له على ان يعلم قبل القيام بمهمتـه من هو ضابطه ومن هو قائد الفوج مع اسماء الجنود الكائنين تحت امرته. اذا كان عريفاً ام رئيس عرفاء ام ضابطاً .. كما انه يجب ان يتقن لغة الاسرى المراد ارساله اليهم كأنه وقع اسيراً معهم في المعركة الفلانية والميدان الفلاني ..

وبعد ان يقوم بالمهمة، يشير الى ضابط الحرس الالماني اشارة خاصة متفق عليها من قبل ، فيستدعى للاستجواب في غرفة اسموها غرفة « الاعتراف » حيث تجري عادة عملية استجواب الاسرى.. ثم يعود الى مكانه الذي جاء منه .. وبعد ساعة او ساعتين تحضر الى ساحة المعتقل سيارة عسكرية تنقله امام الجنود والضباط الى مكان ما .. الى حيث لا رجعة !

الاول في الامتحان !

بدأت الدورة التدريسية للمراسلين الحربيين في ١٥ ايلول ١٩٣٩ وانتهت في ١٥ شباط ١٩٤٠ اي انها امتدت ستة اشهر بالضبط . تعلمنا في خلالها دروساً قاسية في المصارعة على اختـلاف الوانها وشيئاً من الملاكمـة والضرب بالسكين وبالمسدسات الى جانب (الشطارة) في « الزوغان » من المطاردة.

لقد كان عدد ضباط الدورة الاولى ٢٥٠ ضابطاً تخرجنا على دفعتين .. وكنت أنا ضمن الدفعة الاولى التي تخرجت مع ٤٥ ضابطاً بعد ٤ اشهر من ابتداء الدورة بنجاح تام حتى انني فزت على الجميع بالاولوية واختارني البروفيسور دوفيفات مع العشرة الاوائل الذين تلوني في الدرجة ، لنكون اساتـذة مدربين !! والمجموع الباقي اساتذة مساعدون في دورات التدريب القادمة

التي استمرت ثــلاث دورات كان عدد من تخرج منها ١٥٠٠ مراسل حربي من مختلف دول اوروبا ..

اما العرب فلم يتخرج منهم الا ثلاثة ضباط فقط ... اولهم كاتب هذه السطور .. وثانيهم مدير اذاعة برلين العربية .. وثالثهم « الكابتن » يوهانس باري !!

لقد أغريت زهاء ٥٠ عربياً على التطوع للالتحاق بالدورة .. ولكنهم فروا هاربين من التدريب القاسي الى المقاهي والمقاصف والمرابع حيث تعودوا حياة الرفاه والعيش الرغد .. او لاتمام دراساتهم التي غادروا الوطن من اجلها ..

ماذا فعلنا بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٠؟

قصص وطرائف من الاخوان في المانيا ..

نحن والمحور !

يطيب لي وانا أسرد قصة التعاون العربي الالماني في برلين ان أتحدث عن ذكريات لا تزال ماثلة امام القلب والعين وكأنها حدثت قبل ساعة ولم يخفت صداها بعد .

انها حياة حييناها في بلد اجنبي لا يمت للعروبة بصلة بحسب او نسب .. ولكن وحدة التفكير في كفاح عدو مشترك كانت القاعدة الاساسية في هذا التعاون الذي قمنا به .. وكنا نأمل مخلصين ان نرى الجبهة التي اخترناها للعمل تخرج ظافرة منتصرة ، لنقول كلمتنا في السياسة العربية بشكل غير الشكل الذي تقال فيه. اليوم بيد انني احمد الله على اننا لم نكسب الحرب ، ذلك لاننا لو كسبناها لاصبح العالم العربي نهباً مقسماً ليس بين دول المحور!! بل بين المفتي والكيلاني ، ومن لاذ بهما في هاتيك السنوات العجاف التي لم يشبع كرشه احد في خلالها الا من طأطأ الرأس لهما ... وسار معهما في دروب همار .. وأزقة تشانو العفنة المظلمة !

ان السنوات الثلاث التي سبقت مجيء المفتي والكيلاني الى المانيا كانت بالنسبة لنا نحن العرب الذين اختاروا الاقامة في المانيا ، والتعاون مع الرايخ الثالث تعاوناً تاماً شاملاً ، كانت سنوات انتاج وعمل مثمر ظهرت اثارها في دنيا العرب فقطفت المانيا ثمار هذا الانتاج عطفاً اجماعياً من العرب وتأييداً مطلقاً

لسياسة الرايخ ضـــد الاستعماريين الغربي واليهودي العالمي.. والشيوعي ..

لقد قدر هتلر هذه الحقائق الدامغة حق قدرها فأوصى بأن تكون للعرب في الرايخ وفي غير الرايخ الحظوة الممتازة والمعاملة مع النازيين على قدم المساواة والتآخي معهم من جميع الوجوه .

فراي أرابيان ! العرب الاحرار !

سبق ان أشرت في الكتاب الاول من سلسلة « هنا برلين . حي العرب » الى قيامنا بتأليف السرية الاولى من الجيش العربي الذي كانت نواته من الطلبة العرب المثقفين اعضاء البعثات العلمية من مختلف البلاد العربية الذين تطوعوا للانضواء تحت ظل الراية العربية التي اخترنا لها الوان العلم العراقي الذي يمثل الوان راية الثورة العربية الكبرى بألوانها الاربعة .. وجعلنـا شعار الجيش العربي عبارة « فراي أرابيان » اي العرب الاحرار ..

لقد كان في طليعة المتطوعين لتأسيس هـــذا الجيش العربي الدكاترة : على الصافي ، عبد الحميد الهلالي ، عبد المطلب سيد يحي محمود الأمين ، حمدي الخياط ، ناجي عبد الرزاق، مهدي الحمداني مميح الاعظمي ، احمد عبد الرزاق من العراق ورشاد الكزبوي ومأمون الحموي ، رشاد جاسم ، انور بركات ، عبد الوهـاب الرفاعي ، من سوريا ، وبطرس شويحات وشوقي عميرة مـــن الاردن ، وعزيز ضومط وتيوفيل حداد مـــن فلسطين ، ولم يتطوع احد من المصريين لأنهم كانوا جميعاً في المعتقلات اسرى حرب بناء على اوامر رودولف هيس نائب « الزعيم » هتلر الذي كان يكره المصريين من دون العرب ، كما سبق ان اشرت الى

ذلك بالتفصيل في الكتاب الاول من هذه السلسلة .

لقد تطوع الطلبة العرب بجموعهم في جيش العرب الاحرار « فراي ارابيان » وكان مجموعهم في باديء الامر ٧٥ شابا ..

ولم يبق من العرب الذين لم يتطوعوا سوى السيد عبدالكريم السباعي بناء على تقدمه في السن وبعض المسلاكين والمشوهين ! واعضاء هيئة الاذاعة العربية ببرلين ومن بينهم كاتب هـــذه السطور لأننا كنا نقوم بجهود ضخم في مختلف ميادين حرب الاثير !

امير البحر كاناريس

في مطلع شهر كانون الثاني ١٩٤٠ دعاني البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافة بجامعة برلين لتناول الشاي في مشرب الجامعة وكان يجلس مع ثلاثة اشخاص لم يسبق لي ان تعرفت بهم .. وبعد ان قدمني اليهم قال مشيراً الى أكبرهم سناً : امير البحر كاناريس ، الجنرال شيلينبرغ ، الدكتور اوتوديتريش ! وقبل ان اجلس على الكرسي الخاص المعد لي من قبـــل .. تكلم كاناريس وكأنه يلقي اوامر .. وليس مجرد حديث !

نحن اليوم في حالة حرب ، واول شيء يهمنا بعد بريطانيا وفرنسا ، دول البحر الابيض المتوسط والبلاد الواقعة حوله ! ولما كانت البلاد العربية تؤلف المجموعة الكبرى من بلدان هذا البحر . فان الاهتمام قد انصرف لمراقبة النشاط الذي تستغله الدول المحاربة في هذا البحر وفي بلاده ..

ثم التفت امير البحر الي وهو يقول : لقد قررنا (واشار الى من حوله) ان تقوم بمهمة ايفاد رسل الى مصر وفلسطين والعراق

للقيام باعمال خاصة .. نتفق عليها فيما بعد . فهل انت موافق ؟

وهنا صعد الدم حاراً الى رأسي ، ولم احر جواباً !

قال ماذا تقول !

لست جاسوساً !!.

قلت وانا ارتجف من شدة الحنق .. عفواً يا اميرال ، لم يسبق لي ان اشتغلت بالجاسوسية !!

قال : اننا لا نكلفك بأن تكون جاسوساً .. فالمهمة صريحة..

قلت : انني مرتبط بالدكتور غوبلز ..

قال : هل نسيت بأنك ضابط في جيش الصاعقة وبرتبة كابتن !؟

قلت : انني ضابط شرفي والرتبة فخرية !

قال وهو يبتسم ارني تذكرة هويتك العسكرية ..

ناولته التذكرة ، وبعد ان قرأها ، أشار بأصبعه الى توقيعي ثم قال : انظر انك قد وقعت على بطاقة ضابط محترف في جيش الصاعقة .. والرتبة رسمية !!

قلت انهذا نصب واحتيال وتغرير .. لقد اوقعني الدكتور هيسلر في الفخ ، ثم ان وقتي في الاذاعة العربية لا يسمح لي للاشتغال بمثل هذه الامور ..

قال كاناريس ، ان الحرب خدعة .. اما الوقت فاننا سندبره كن على ثقة بأننا لانريد منك الا التعاون على اساس الثقة المتبادلة...

لم اجب على قوله عندما رأيته يلين في كلامه .. ورحت انفث دخان سغارتي ، و كأنني استمد منها الوحي ، لأرد عليه !!

وطال الانتظار فلقد تعمدت ان ازيل اثر الرجة التي احدثها تصلبي في رفض مطلبه !! والظاهر ان امير البحر كاناريس كان

متعودا على اصدار الاوامر التي لن تقابـــل بالرفض .. فلقد ادهشه رفضي والتمسك برأيي بمثل هذه الحدة والعناد..

ضابط ارتباط عربي ..

ولما رأى كاناريس وجومي الطويل ، شرب جرعة من الجعة « البيرة » الموضوعة أمامه وقال وهو يحرص في هذه المرة على ان يكون صوته رقيقـــاً مؤدباً .. ارجو ان لا تكون قد اسأت فهم قصدي .. اننا نريد عونك ومساعدتك ، فأنت الخبير الأمثل في الشؤون العربية والاسلامية !!

قلت وانا احاول المراوغة ، اذا كان الأمر على صعيـــد الاستشارة وبذل النصح والتوجيه فأنا على اتم الاستعداد للتعاون معكم الى اقصى حدود التعاون صراحة وعلى رؤوس الاشهاد !! كما افعل من اذاعة برلين ..

قال : لقد اتفقنا فانك ستكون منذ الآن فصاعداً المستشار العسكري العربي .. وضابط ارتباط بيننا وبين العرب !!

قلت : انني اقبل هذه المهمة على المكشوف بكل سرور .. وسترون مني ما يسركم !

ثم قلت : اعطوني مهلة اسبوع ونحن لا نزال في الشهر الخامس من الحرب ؟!

قال : فليكن لك ما تريد .. أتكفيك ثلاثة اسابيع !

قلت : بلى !!

من هو كاناريس ؟

امير البحر كاناريس كان ربان البارجة درسدن التي اغرقت

في عام ١٩١٥ في معركة جزر فالكلاند قبالة شواطىء الارجنتين واعتقل اسيراً ثم فر هارباً الى اسبانيا فايطاليا وهناك اعتقل مرة ثانية وحكم عليه بالاعدام بتهمة التجسس . وتمكن مرة ثانية من من الفرار من المعتقل بمعاونة قس ايطالي.. وعاد الى المانيا حيث انيطت به قيادة غواصة المانية .

واستمر كاناريس منذ سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٣٤ يقوم بعمله العسكري كضابط في البحرية .

وبالرغم عن هذه الثقـــة الكبرى التي وضعت في امير البحر كاناريس بوضعه على رأس اخطر منصب عسكري فان كاناريس ما كان ليخفي كرهه لمبادىء الحزب النازي .. وكثيراً ما ندد بدعاوي الاشتراكية الوطنية الهتلرية !!

لقد جاهر كاناريس بصراحة وعلى رؤوس الاشهاد بشجب سياسة هتلر الحربية ، فعارض اندفاع المريشال كايتل في تأييـد وتنفيذ خطط هتلر العسكرية بدون نقاش او بحث او تمحيص ..

وكانت ادارته لمصلحة مكافحة الجاسوسية في الرايخ الثالث في سنوات الحرب الاولى ادارة مثالية ! فنظم شبكات الجاسوسية الالمانية في اوروبا وفي انحاء المغرب العربي وفي الشرق الاوسط، وعلى الأخص في العراق وايران وفي تركيا وفي فلسطين ..

رأي الدكتور غوبلز !

قصدت في صباح اليوم التالي وزارة دعاية الرايخ لأعرض على الدكتور غوبلز حقيقة ما جرى لينقذني من هـــذه الورطة التي اوقعني فيها سوء الطالع ، فأنا لم احضر الى المانيا لأكون استاذاً للجواسيس ، ومعلماً للتدمير والتخريب ! وقد تعمدت عـــدم

الاجتماع بالدكتور هيسلر الذي اوقعني في هذا المأزق الحرج .. فلذت بالصمت لعلي اجد عند غوبلز مخرجاً ..

ادخلت على الوزير الخطير وانا لا اكاد اضبط اعصابي من شدة التأثر ! فحدجني بنظرة فاحصة .. لان تعمقي بالتفكير انساني ان أحييه بالتحية الهتلرية !..

وقال غوبلز وهو يتنحنح مبتسماً بعد ان لاحظ ارتباكي : نانو !. يعني ماذا حصل ؟

قلت : انني في خطر !

قال : لماذا ؟

وقصصت عليه القصة بحذافيرها ..

ضرب غوبلز كفاً على كف مصفقاً ، وهب من مقعده واقفاً ثم ربت على كتفي وهو يقول مبتهجاً :

انه لشرف عظيم يوليك اياه امير البحر كاناريس !! ان هذا التمساح البحري لا يثق بي انا شخصياً .. فكيف وقد وثق بزميل من زملائي النشيطين .. اذهب اليه وبلغه تحياتي، وتقديري لحسن اختياره .. وبدون ان يزيد على ما تقدم بكلمة شد على يدي وصاح هايل هتلر !!

في مدرسة الجواسيس !

كانت المدرسة الجديدة للجواسيس تقع في فيلا قديمة في ضاحية شباندو ، وعلى بعد ٩٠ متراً من سجن شباندو الكبير ، وقد وضعت على باب الفيلا لوحة ضخمة كتب عليها بالقلم العريض « دار النقاهة للضباط المجاريح » !!

وكانت الدار ، او بعبارة أصح المدرسة التي افتتحت لاول

مرة في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٠ قد قسمت الى ثلاثة اقسام : قسم فرنسي ، وقسم بريطاني ، وقسم عربي ! ويشمل القسم العربي هذا افريقيا الشمالية -تبعاً لتقسيمهم- والعراق وسوريا ولبنان ، اما مصر فلم تدخل في قائمة حساب مصلحة مكافحة جاسوسية الرايخ الثالث لانها كانت قد ادخلت في حساب مصلحة ادارة الاستخبارات السياسية التي كان يشرف عليها الجنرال شيلينبرغ وكذلك فلسطين ! ولم تضاف مصر وفلسطين الى القسم العربي إلا بعدما هزم الجيش البريطاني الثامن الجيش الايطالي الذي توغل في الصحراء الغربية واستجاب هتلر لاستغاثة موسوليني فأمر بارسال المريشال رومل الى ليبيا لينقذ الايطاليين من بين مخالب الانكليز في ليبيا !!

كان واجبي يقضي بأن ادرس ٢٤ ضابطاً المانياً من الشباب المولودين في مدينة الناصرة بفلسطين اللهجات والعادات الخاصة في العراق وسوريا ولبنان ، وليبيا والمغرب العربي . وكان مفروضاً ان اقسم الضباط من الناحية العددية بالنسبة لكل بلد ، فكان من نصيب العراق ٤ ضباط ولسوريا ٤ ايضاً وللبنان ٣ ضباط وليبيا ٣ ضباط ولتونس ٣ وللجزائر ٣ ولمراكش ٣ ضباط ، وضابط واحد يرابط في طنجة !! وقد درستهم مجتمعين جميع المعلومات التي تلقيتها في دورة التدريب التي تخرجت منها بتفوق ونجاح تامين .. ثم درست كل وحدة على حدة العادات واللهجات العربية بالنسبة للبلاد التي قسموا للعمل فيها .

نجاح باهر !

لقد كانوا جميعاً يتقنون اللغة العربية كأبنائها باللهجة الفلسطينية

طبعاً لانهم ولدوا وعاشوا في الناصرة بفلسطين ، فكان من السهل تلقينهم اللهجات العربية الاخرى ، ولم أجد صعوبة الا في تعليم اللهجة الجزائرية بأقسامها الثلاثة «قسنطينة والجزائر ووهران ..» وعلى الاخص لهجة اهل وهران المختلطة بالفرنسية الممسوخة العامية .. مثلاً :

– يا دبايري كيف جيت مسنيو .. ردوني للعام الديرني !!!

اي ما تعريبه : ماذا ادبر عندما وقعت فلقد ردوني للعام القادم ...

وفي لهجة اهل تلمسان من عمالة قسنطينة يقلب المتفيقهون فيها حروف التاء « سيناً » مثلاً :

– طالعه من المكسب .. سعرف سقرأ وسعرف سكسب .. حسى في البيانو سضرب سركي وعربي وفرنسيس !

اي ما نصه : طالعه من المكتب .. تعرف تقرأ وتعرف تكتب .. حتى في البيانو تضرب ، تركي وعربي وفرنسيس !!

لقد ساعدني ذكاء هولاء الطبيعي على اتمام المهمة في الوقت المحدد ، وقد استطعت ان اجعل منهم فرقة متماسكة متساندة كأحسن فرقة من فرق كرة القدم التي تجيد اخذ الكرة وايصالها الى الهدف بتعاون واتقان بديعين!

انني احمد الله على ان مهمتي في هذا الحقل اللعين قد انتهت ساعة تخرج هؤلاء الضباط من الدورة التدريبية لأنهم صاروا اساتذة مدرستهم وعلى اتم استعداد لتخريج غيرهم من الضباط .

وسام الصليب الحديدي

في اليوم العاشر من شهر اذار ١٩٤٠ وهو اليوم الذي هجمت

فيه جيوش الرايخ على هولندا والبلجيك واجتاحت الدانمرك ..
جائني الى مكتبي في دار الاذاعة ضابط الماني كبير لا اذكر ما هي رتبته واظنه « عقيد » وكانت تلك الزيارة اول زيارة يقوم بها ضابط عسكري لمكتبي ولكنني بعد تورطي في قصة الجاسوسية الهتارية لم اعد استغرب امثال هذه المفاجآت والمثيرات !
جلس الضابط ولم يتكلم ولم يقدم نفسه لي .. وكنت منهمكاً في تعيين وقت المذيعين ، وبعد مضي ٣ دقائق تكلم الضابط !
قال : ان القيادة العليا تقديراً منها للخدمات التي تقوم بها لتقوية الجهاز الحربي الالماني فقد قررت منحك وسام الصليب الحديدي .
يا كابتن يوهانس باري !
ولما لفظ الضابط اسمي مقروناً بعبارة وسام الصليب الحديدي .. وقفت في التو واللحظة وردد صوتي مدوياً عبارة هايل هتلر !
ضحك الضابط الالماني حتى استلقى على قفاه من شدة الضحك ! وبقيت واقفاً وانا مذهول من ضحكات الضابط البلهاء .
وكأنه احس بموقفي هذا فقال من اي مدرسة حربية تخرجت ؟
زاد ذهولي اكثر من الماضي .. ولكنني لاحظت من سؤال الضابط انه في حضرة ضابط الماني متخرج من مدرسة حربية المانية !
قلت ماذا تعني ؟
قال : اننا معاشر العسكريين لا نحيي بالتحية الهتلرية !..
وهنا حبكت النكتة ، فقلت : يا لسخرية القدر ان العمل مع المدنيين هو الذي حملني على ما بدر مني .. تغير وضع الضابط الكبير عندما سمع قولي .. ثم ردد قائلاً ! طبعاً طبعاً

بحكم العادة ..

السكرتيرة الفاتنة

لما سقطت باريس ، والقت فرنسا السلاح تحت اقدام هتلر كلمني البروفيسور كروكمان بالتلفون ، والبروفيسور كروكمان كان استاذ اللغـــة الالمانية في صف « الميترو كوليشن » الصف الاعدادي لطلبة البعثات في بغداد .. وهو من اخلص الالمانيين في صداقة العرب واكثرهم حباً للعرب .. وهو نجل العلامـــة الالماني البروفيسور كروكمان اكبر طبيب اخصائي لأمراض العين في العالم ..

قال البروفيسور كروكمان .. ان لدي مفاجأة لك !!

قلت : خيراً ان شاء الحظ !..

قال : فتاة رائعة الجمال ..

قلت : يعني !

قال : ليس للزواج ..

قلت : اذن لماذا ؟

قال : للعمل معك .. سكرتيرة لك ..

قلت : اين في المكتب ام في البيت ؟

قال : الاثنين معاً !! هل انت مبسوط ؟..

قلت : اورني اياها اولا ثم اخبرك اذا كنت مبسوطاً ام لا .

وبعد ساعة كان البروفسور كروكمان عندي وهو الى جانب فتاة كاعب ترب تفوقني في الطول سنتمترين ممتلئة الجسم كاملة الانوثة .. قال كروكمان وهو يقدمها الي : فراولاين ينيكا .. سكرتيرتك الخاصة .. انها ليست تابعة لوزارة الدعاية .. بل من

موظفات الجيش !!

قلت : وعيناي مركزتان على السكرتيرة الفاتنة ، باللغة الالمانية : انني ارحب بها ولو كانت من موظفات الغستابو .. اهلا وسهلا اي « ويلكومون !! »

قلت : والله ان الفراولاين ينيكا هي اعظم خدمة تقدمها لي القيادة العليا الالمانية !!

قال كروكمان : صه يا رجل !! اننا لسنا في كباريه !. »

اختلط الحابل بالنابل !

قلت سيان عندي .. مكتب ام كباريه !! ان رائد الكباريه يفتح شامبانيا للفاتنة الحسناء عميلة الكاباريه وأنت تقدم لي هذا الطراز الفاخر من الجنس اللطيف .. وانا في غفلة من الزمن .. لم اضرب منجلا في سبيل الحصول عليها .. ولم افعل شيئاً من اجل امتلاك ناصيتها !! فهل ألام اذا قلت ان تعريفي بها هي خدمة جلى احسد عليها ؟

لقد تعرفت الى فتيات كثيرات فاتنات مغريات من مختلف وزارات الرايخ .. ومن فتيات المهن الحرة .. ومن النجوم الساطعات على المسرح والشاشة البيضاء .. ولكنني لم ار قط فتاة اخاذة جذابة كالفراولاين « ينيكا » .. انها اذا ابتسمت فانما تنفرج شفتاها عن لآلىء بيضاء كالدر المنضد .. وفي قوامها سحر افعواني يسيل له لعاب الدون جوان العربي المتصابي «حناغصن !! »

وقبل ان اقول للفتاة كلمة ، كانت قد وضعت آلتها الطابعة النقالة على المكتب الصغير الكائن الى يمين مكتبي وتبوأت مقعدها وكأنها تشغل المكان منذ سنوات !! ثم فتحت حقيبة يدها

وانتزعت منها سيغائر اميركية «لوكي سترايك» وقدمت لي ثلاث علب منها .. ولما بدا استغرابي ظاهراً قالت وهي تفرغ محتويات حقيبة يدها :

ان من واجبنا توفير اسباب الراحة والترفيه لك !

قلت : شكراً .

قالت لا شكر على واجب..انني هنا تحت تصرفك المطلق..

قلت يا فتاتي الجميلة انني لست بحاجة الى سكرتيرة .. ثم انك لا تعرفين اللغة العربية ، فما هي مهمتك اصدقيني القول .. وسنبقى اصحاباً !

موافقة مراقبة ..

قالت الفراولاين ينيكا وهي تضحك جذلاً..عندما استدعوني لاكون سكرتيرة لعربي .. ظننت بأنني سأرافق شيخاً عربياً ملتحياً من شيوخ الصحراء او شيوخ النفط الذين تحدثت بمباذلهم الركبان !! فارتعدت فرائصي من شدة الخوف ، ولكنني لما رأيتك استعدت روعي واطمأنت نفسي اليك ..

ثم اردفت الآنسة ينيكا تقول ان مهمتي تنحصر في مرافقتك والسهر على راحتك هنا في المكتب وفي البيت ..

قلت : لا داعي لذلك .. انني اعرف كيف احفظ نفسي هنا وهناك !

قالت : الحق انكم معاشر الرجال اغبياء !.. لقد قالوا لي انك زير نساء !.. وقالوا انك متواضع جداً مع النساء ترافق اول امرأة تصادفك في الطريق أو تشجعك على مغازلتها ..

قلت : هذا صحيح ، فالمرأة ضالة الرجل اينما وجدها التقطها!

قالت : ومن أجل ذلك ارسلت لأحل محل اللقطات !! ثم انك لا تدري ان جل هاته اللقطات من النساء اللواتي يرتدن المرابع والبارات والمطاعم والمقاهي هن جاسوسات للعملاء ... واننا نخاف عليك من شرهن ! انني ضابطة في وحدتك يا كابيتان يوهانس !! وانا بمرافقتك انما اقوم بواجب عسكري ..

قلت : كفاك ضحكاً على ذقني انك انت جاسوسة علي .. أليس كذلك ؟

قالت أقسم لك على صحة ما أقول !! فما انا الا مرافقة مراقبة لك ، ادفع عنك شر النسوة الجاسوسات !

يعرفون كل شيء !

انتهيت من العمل في الاذاعة ، وانصرف الزملاء الى بيوتهم وبقيت وحدي في المكتب اورتب بعض مواد منهج الغد .. وفجأة فتح الحارس العملاق باب غرفتي وهو يقول : ان الآنسة ينيكا هي بانتظارك في السيارة عند الباب الخارجي !

قلت : انها قد ودعتني ذاهبة قبل عشر دقائق !

لم يجب جندي الحرس على سؤالي بل ادى التحية وانصرف..

ولما وصلت الشارع لوحت لي الآنسة ينيكا بيدها من نافذة السيارة المرسيدس بنز التي كان يجلس امام مقودها سائق جندي من جيش الصاعقة .. وما ان تبوأت مقعدي في السيارة الى جانب الانسة ينيكا حتى امرت السائق هامسة في اذنه الى البيت !!

وبعد ان مرت السيارة في الشوارع التي تعودت السير منها في رواحي وغدوي من البيت الى الاذاعة وبالعكس .. وقف السائق امام باب البيت الذي كنت اسكنه الى جانب المركز

العام لشركة باير للمستحضرات الطبيـــة رقم ١٧٢ في شارع كورفور ستندام شتراسه الفخم ..

لقد كانوا يعرفون كل شيء عن حركاتي وسكناتي في المكتب وفي الشارع وفي البيت.. وكانوا يعرفون من هم اصـــدقائي وصديقاتي ، وصويحبات التو واللحظة ..

قالت الانسة ينيكا وانا افتح باب المنزل انك تفضـل شرب « الكونياك » على الويسكي أليس كذلك؟

ان شولز السائق قد احضر لك صندوقاً كاملا .. يكفينـا لمدة شهر !!

لم احر جواباً..وهرعت السيدة بيرتا خادمتي الوفية لاستقبالنا.. وقبل ان أتفوه بكلمة لاجراء التعارف قاطعتني الانسة ينيكا بقولها : لا حاجة للتعارف فنحن اصدقاء منذ ثلاثة أشهر !!

أحنت السيدة بيرتا دينغلر خادمتي رأسها تأكيداً لاقوال الانسة ينيكا !

فصول لا تنتهي ..

ولاول مرة منذ ستة اشهر بعد اشتعال نيران الحرب كنت أتناول طعام العشاء على مائدتي في منزلي مع اكثر من شخصين.. فلقد جرت العادة ان أتعشى في مطعم الاذاعـــة صحبة اللورد هاو هاو المذيع باللغة الانكليزية الذي كان يتفوق علي في احتساء كؤوس الويسكي مترعة .. او في احـــد مطاعم « السو » او كورفورستندام !

لقد كانت المائدة عامرة باللحوم والخضر والفواكه التي لم اوصي على شرائها .. فكانت المفاجأة سارة حقاً وممتعة معاً ..

امرأة جميلة وسيارة فخمة .. وطعام لذيذ..وشراب الذ !

لم أوجه الى الانسة ينيكا اي سؤال .. بل رحت آكل بشهية منهم..واتمتع بشرب الكونياك مع السودا كأي لورد بريطاني.. كانت المائدة وكأنها مائدة انزلت من السماء !

طفقت الانسة ينيكا تجاريني في تناول الشراب بسهولة عجيبة وبنفس السرعة المعروفة عني في هذا الميدان .. وبعد ان انتهينا من تناول الطعام والامعان في الشراب وكانت الساعة قد اقتربت من منتصف الليل ودعنا السائق وهو يقول سأحضر غداً صباحاً على الساعة العاشرة .. وجاءت الخادمة بورتا لتقول لنا ليلتكم سعيدة ! ولم يبق الا ان تودعني الانسة ينيكا لآوي الى سريري.. ولكنها بدلا من ان تودعني هبت من مقعدها وطوقت عنقي بيديها وراحت تشبعني عضاً وتقبيلاً !! ثم قادتني الى غرفة النوم مسرعة . واخذت تنتزع ملابسي من على جسمي انتزاعاً !!

وبعد ان هدأت العاصفة .. واستوينا على السرير لتدخين لفافة تبغ .. قالت الانسة ينيكا بدلال وغنج ، انني سأسكن معك هنا واكون لك زوجة وصديقة وسكرتيرة.. لا سبيل للاعتراض ! هذه هي الاوامر !

دحض المزاعم الباطلة

وفضلا عن الاوامر فانني قد وجدتك لطيف المعشر .. ورجل فحل !!

وعندها لم اتمالك نفسي من شدة الضحك .. وقلت لها مبرراً سبب ضحكي هذا : ان بعض اصدقائي العرب يتهمونني بعكس ما تقولين من حيث الرجولة والفحولة ! فان الاخوان اعضاء

حزب الارتخاء الوطني كالدكاترة علي الصافي وعبد الحميد الهلالي وعباس كاشف الغطاء وجابر عمر وعبد الأحد داود وفرج الله ويردي وعبد الكريم كنونة ومأمون الحوي وناجي عبد الرزاق، يزعمون زوراً وبهتاناً بانني لا استطيع حراكا! وانه ليسرني دحض مفتريات هؤلاء السادة الجليلي القدر العالي الجناب!

لقد استمرت هذه التهم الشنيعة ملتصقة بي حتى يومنا هذا، وبالرغم عن زواجي فان الاخوان وعلى رأسهم الاستاذ الكبير عفيف الطيبي الفحل، والاستاذ «المتوسط» عادل عوني «ك» صاحب الحوادث البغدادية يدعون بأنني لا زلت باق على عهد برلين..

اما شهادة الاخ عفيف الطيبي فهي شهادة لن اطعن فيها.. لانها مجرد دعاية مستحبة يؤيدها اخوان السلاح المذكورة اسماءهم اعلاه.. اما شهادة الاستاذ «المتوسط» عادل عوني «ك» فهي دسيسة رخيصة يراد بها التشنيع والافتراء ليستر بها مركب النقص الكائن في كرشه الضخم المترهل وفي اوداجه المنتفخة كجيوبه الملأى باموال اعلانات مجلس الاعمار العراقي..

ان عادل عوني من الناحية النسائية لا يؤتمن على دجاجة.. هكذا يقول جل عارفي «فضله!» اما انا شخصياً فانني قد أئتمنته حتى على زوجتي.. اي والله زوجتي انا! فعندما زرت بغداد في العام المنصرم انزلني بداره ضيفا مكرماً عليه وعينه عالقة بزوجتي ولعابه يسيل كالثعلب الذي يقف امام دجاجة.. وقد رأيته بأم عيني وهو يهجم كالوحش الكاسر على سرير زوجتي يقبلها وهي نائمة.. في حين وقفت زوجته المسكينة على باب الغرفة

تحرسه وتدق له جرس الخطر مني .. ولكنني لم افعـــل شيئاً لأعتقادي بأن عادل عوني هو نفسه قد صار «اخاً» لجميع الراقصات والمغنيات والمطربات اللواتي يصرف عليهن امواله جزافاً واعتباطاً !

* * *

الزملاء في الاذاعة العربية .

لم اعد وحيداً في الاذاعة العربية التي أسستها .. فلقد كنت في الشهر الاول الذي مر علي وانا اترجم نشرة الاخبـــار واكتب التعليقات السياسية وأذيعها .. واضع البرامج .. واقدم المقرئين والمنشدين والمطربين .. وفي نهاية الشهر الثاني وصـل الدكتور محمد تقي الدين الهلالي من كبار علماء مراكش، وكان قبل ان دخل جامعة بون للحصول على شهادة الدكتوراه يدرس في جامعات الهند وفي العراق ، وهو متزوج في البصرة وقـــد اوصاني به خيراً امير البيـــان الامير شكيب ارسلان فكان الدكتور الهلالي عند حسن ظن الجميع ، اذ كان يتدفق علماً وفضلا وقد استفادت الاذاعة العربية كثيراً من فيض معرفته في الشؤون الاسلامية .

وكان العضو الثاني الذي افاد الاذاعة بدقة البحث والتضلع باللغة العربية المجاهد التوركستاني المعروف الاستاذ ادريس عالمجان وكان رئيساً لقسم الترجمة الشرقيةبوزارة خارجية الرايخ الثالث، وهو يجيد اللغات الفارسية والتركية ومختلف لهجات التوركستان « التوركية » ولغة البشتو التي هي مزيج من اللغات الفارسيـة والأردو والعربية .. اضف الى ذلك لغة عربية فصحى تبحر في لججها حتى صار يضاهي اكبر عالم من علماء الازهر الشريف .

ويشغل الاستاذ ادريس عالجان منصبا مهما في الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، وهو متزوج من امرأة تركستانية فاضلة حصلت على شهادة الدكتوراه في الطب من جامعـــة برلين وتخصصت في التوليد وامراض الاطفال .

وانضم الينا الدكتور كمال الدين جـــلال الذي كان يراسل الاهرام قبل الحرب في برلين . ولكنه عاد الى مصر مـع من عاد اليها من المصريين عندما اشتعلت نيران الحرب ، واشتغل مديراً لدعاية بنك مصر ، غير ان خلافاً شديداً نشب بينه وبين محمود فهمي النقراشي ، واظن ان النقراشي كان يومئذ وزيراً للداخلية فاضطر الدكتور جلال ان يعود الى برلين حيث كانت زوجته الالمانية بانتظاره ..

المصريون المعتقلون !

زارني الصديق الدكتور كمال الدين جلال في مكتبي بالاذاعة وبحث معي في موضوع المصريين المعتقلين الذين امر باعتقالهم الهر ردولف هيس نائب « الزعيم » هتلر باعتبار كون المصريين من حلفاء بريطانيا من دون العرب !! فوعدته خيراً .. وراح يسعى من جهته مع اصدقائه من الالمانيين للافراج عن المصريين واعتبارهم كغيرهم من العرب حلفاء طبيعيين لالمانيا . ولم ابق وسيلة الا وتشبثت بها لاطلاق سراح اخواننـا المصريين من معتقلات الأسر ..

ولما تحقق لنا ما أردنا وتم الافراج عن المصريين ، واصبحوا احراراً في اعمالهم جاءني الدكتور كمال الدين جلال وطلب مني عملا في الاذاعة ، فلم ار بداً من اسناد وظيفة محرر ومترجم اليه ..

وفي الواقع فان الدكتور جلال شخصية ظريفة ممتعة لعب ادوارا رئيسية في انتخابات الجمعية الاسلامية قبل الحرب وصار اميناً عاماً للجمعية التي تسيطر على جامع برلين ، وكان للجمعية مركزاً مرموقاً لدى حكومة الرايخ الالماني الثالث ..

لقد كان المصريون في السنة الاولى من الحرب يؤلفون في المانيا اكثرية ساحقة بين العرب الموجودين في الرايخ الثالث .. وكان التنافس شديداً بين السيد حبيب الرحمن رئيس الجمعية الاسلامية في برلين وهو مسلم هندي وبين الاستاذ الدكتور عبد الحليم النجار مبعوث الازهر الى المانيا على منصب الرئاسة فالسيد حبيب الرحمن بوصفه الرئيس المؤسس للجمعية كان يريد الاحتفاظ بمركزه رئيساً على طول الخط .. ولكن الاستاذ النجار كان يرى ان حظه اوفر نجاحاً من الرئيس الهندي في الجمعية بوصفه عالماً دينياً .

دعوت البروفيسور دوفيفات الى تناول طعام العشاء عندي في البيت وكانت الانسة ينيكا التي اصبحت « ربة البيت » بيني الله تقوم بخدمتنا والسهر على ترفيهنا .. وفي خلال المأدبة قلت للبروفيسور ما هو رأيك في انتخاب الدكتور عبد الحليم النجار رئيساً للجمعية الاسلامية ؟

اسباب غامضة مثيرة !

ازدرد البروفيسور دوفيفات عميد كلية الصحافة في جامعة برلين قطعة اللحم المشوية .. بصعوبة ثم اردف قائلا : ان حبيب الرحمن الهندي رجل مشاغب !! اما الدكتور عبد الحليم النجار فانه من الرجال الطيبين الذين ينبغي لنا ان نستفيد من خدماتهم ..

وفيما نحن نتجاذب اطراف الحديث دق جرس التلفون وكان المتكلم هو الهر بوفنغر مدير الاقسام الشرقية للاذاعات الالمانية.. قال اود أن اراك بالسرعة الممكنة ، سأكون في سيارتي بعد ٥ دقائق عند باب منزلك !

وفي الوقت المحدد كان بوفنغر في سيارته فصعدت الى جانبه . لقد كان بادي الارتباك ولكنه دخل في صلب الموضوع الذي جاء من اجله قال : يجب ان لا يحضر الدكتور كمال الدين جلال الى الاذاعة غداً .. فارجوك ان تخبره ذلك فوراً !! وان تسحب منه بطاقة الاذاعة !

ثم ارجوك ان تبلغ السيد حبيب الرحمن المذيع الهندي باننا قد استغنينا عن خدماته اعتباراً من هذه اللحظة !..

قلت سأبلغ حبيب الرحمن الأمر .

اما الدكتور جلال فاننا في أشد الحاجة اليه فهو ضليع باللغة الالمانية وهو خير من يترجم البلاغات الرسمية ترجمة شرعية .

قال لقد قمت بواجبي فاخبرتك بالأوامر التي صدرت الي ..

وفي الحقيقة فلقد عز علي فراق الدكتور كمال الدين جلال بقدر ما عزت علي هذه الصورة المفاجئة التي يريدون اخراجه بها من الاذاعة العربية ..

انني حتى هذه الساعة اجهل الاسباب الغامضة التي حملت القيادة النازية على فصل الدكتور كمال الدين جلال من الاذاعة العربية.. ولقد فرحت من امر فصل حبيب الرحمن المشاغب الهندي ..

البروفيسور الله ويردي

قبل ان تدق طبول الحرب بثلاثة اشهر كنا نجتمع في دار

الصديق سليم الراوي قنصل العراق في برلين وكان يقاسمه في مسكنى الدار البروفيسور فرج الله ويردي المحلل الكيماوي العراقي الأشهر .. وكان الله ويردي .. اي « عطاء الله » مترجمة عن التركية ، يهتم بالسياسة اكثر من اهتمامه بشؤون الدرس والبحث والاستقصاء والتحليل الكيماوي الذي جاء من اجله الى برلين تاركاً وراءه مكاتبه ومختبراته وعمله الرسمي !

وكنا نجمع على معاكسته واثارة اعصابه .. ولما كان يلفظ العبارات العربية بلهجة تركية خفيفة اخف بكثير من لهجة العلامة العربي ساطع الحصري التركية « الطرن العراقي السوري الأكبر .. » فلقد كنا نلح في معاكسته ليمعن في الثورة على الاوضاع السياسية « الملخبطة » في العالم العربي على حد تعبيره .. وعلى الاستعمار . وعلى اذناب الاستعمار من العرب الذين مكنوا المستعمر الدخيل الغاشم من التحكم في رقاب العرب .

كان الله ويردي او عطاء الله ولا يزال على ما اعتقد ، عطية نادرة ممتعة من عطايا الله .. الله الذي صنع هذا الكون في كفة .. وصنع الله ويردي وجعله « كوناً » قائماً بذاته وفي كفة اخرى !!

ان الله ويردي او بعبارة أصح فرج الله ويردي البروفيسور في التحليل الكيماوي هو بروفيسور في التحليل السياسي ايضاً على المستوى العالي .. كان يشتري كل صحف الصباح يقرأ فصولها السياسية والمقالات الافتتاحية والانباء البرقية ، والاعلانات المبوبة .. واعلانات طلب الزواج واعلانات الاحذية !!

لقد كان مقامراً من الطراز الاول .. يقرأ الصحف ويناقش في السياسة في النهار .. ويلعب النرد او الشطرنج بالليل في

« كافي ام سو » ..

اما العمل والشغل فتلك كلمات لا وجود لها في قاموس الله ويردي !

نازي متعصب !

كان فرج الله ويردي من اشد الناس تعصباً لهتلر .. بل كان نازياً اكثر من الدكتور غوبلز ! ومن هو الدكتور غوبلز حتى يقارن بفرج الله ويردي !!

انا لا اقول هذا القول من عندياتي .. فهو ليس برأيي في الاخ فرج الله ويردي .. ولكن هذا هو رأي الله ويردي في فرج .. يعني فرج الله ويردي .. اي رأيه في نفسه !

لقد صرف الله ويردي المبالغ التي جاء بها من بغداد لينفق منها على دراسته .. وفي شهر ايلول ١٩٣٩ صار فرج الله ويردي « على الحصير .. » لم يبق لديه لا خيل ولا مال .. اللهم الا فلسفته النازية السياسية يهديها لمن ارادها ام لم يردها !!

كان يعتقد بان الله قد ارسله هادياً ومبشراً برسالة هتلر .. وكان علينا ان نصغي اليه رغم انوفنا .. كما كان على سليم الراوي القنصل العراقي في برلين ان يقبل الله ويردي ضيفاً مزمناً عليه !

وذات يوم كلمني الصـــديق سليم الراوي في قضية فرج — حاضره ومستقبله — !

فلقد كنا نتوقع نشوب الحرب .. وقد اعلن فرج الله ويردي بكل اباء وشمم بأنه سيبقى في المانيا ولن يعود الى العراق بالرغم عن اشتعال نيران الحرب !!

وازاء هذه الرغبة السامية واللفتة الكريمة .. طلب الي الصديق

سليم الراوي ان اجد للبروفيسور فرج الله ويردي « عملاً في اذاعتنا العربية ..

رئيسا للترجمة

وفي اليوم التالي اقتدت البروفيسور فرج الى دار الاذاعة ، وافردت له غرفة خاصة كتبت على بابها « رئيس » قسم الترجمة..

لقد برهن فرج الله ويردي في خلال الاشهر الستة الاولى التي مرت على عمله في الاذاعة بأنه من انشط العـــاملين فلغته الالمانية ممتازة ولغته العربية « كتابة » فاخرة .. ولكن تكلمه بالعربية يضحك الثكلى !! ويضحك اصدقاءه .. وهم كثر !

كان الله ويردي مترجماً شرعياً من الطراز الممتاز ، ومن أجل ذلك انطنا به مهمة ترجمة البلاغات الحربية الصادرة عن مقر القائد الأعلى للقوات الالمانية المسلحة « الفوهرر » هتلر ! وكان يجد لذة ومتعة في هذه الترجمة بل البراعة في الترجمة ، لاعتقاده بأن هذه الترجمة تقربه من « الزعيم » روحياً وتجعله يقوم ببعض الواجب نحو هتلر الذي احبه واعتقد منذ اول يوم عرفته فيه ببرلين الى آخر يوم اجتمعنا فيه ببرلين قبل شهر من انهيار المانيا صحبة « الزعيم » رشيد عالي الكيلاني في فندق - آدلون - بأن هتلر سينتصر !!

وهكذا كان الله ويردي يضيع وقته ووقتنا في اقدامه على القسم بالأيمـــان المغلظة بأن « النصر » سيكون حليف هتلر في خاتمة المطاف !!

اثنتان بواحدة !

لقد استطاع البروفيسور فرج الله ويردي ان يحمل «الزعيم»

رشيد عالي الكيلاني على الاعتقاد مثله بأن انتصار المانيا هو حقيقة ثابتة ، وان هتلر سيخرج من المعركة الحاسمة ظافراً منتصراً .. ليعود هو الى العراق ليوزع الاراضي على « الموعودين بها من قبله » من الاصدقاء الالمانيين الذين اغدق عليهم العطاء – وعوداً براقة من الاراضي في العراق – في حالة انتصار المانيا ..

انني ابحث في هذه العجالة عن البروفيسور فرج الله ويردي ونوادره اللطيفة التي لا يزال صداها يتردد في اذهاننا نحن الذين عشنا معه في المانيا سبع سنوات عجاف !! اما السيد الكيلاني والمفتي فسيأتي البحث عنهما مع القائد القاوقجي في كتـــاب خاص قادم !

ان قصة البروفيسور الله ويردي في برلين هي قصة جل ابناء العروبة الذين اكرهتهم الظروف على البقاء في المانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، فالنوادر والمتاعب والمصائب التي كانت تصادف الله ويردي كانت نصيب كل واحد منا .. لا فرق في ذلك بين كبير أو صغير .. او امير وفقير .. فلقـــد تساوى الكل على « المستوى العالي » في مستوى المعيشة والنصب !!

كان تقنين الدخان والسغائر قد هد حيل الجميع .. ثلاث سغائر للرجل .. وسيغارتين للمرأة في اليوم الواحد! والله ويردي يدخن ٩٠ سيغارة في اليوم الواحد .. انه كمدخنة الباخرة التي تعبر المحيط لا تفتأ تنفث الدخان بدون انقطاع .. ان اصابع يده اليمنى مجللة بالصفرة الداكنة .. ٢٤ ساعة في اليوم الواحد .. انها صفرة نيكوتين السيغائر !!

وذات يوم جاءنا البروفيسور الله ويردي وهو يعرض علينا

« سيغارتين » من سيغائره لقاء سيغارة واحـدة من سيغائرنا !!
وجعلت اباد له السيغائر مدة .. ولكن « سخاء » الله ويردي هذا
ادخل الشك في نفسي اخيراً .

وطلبت الى السيد احمـــد عبد الرزاق الذي يعمل معي فيه
الاذاعة بوصفه « الخبير في التبغ » ان يدرس لي قصة سيغائر
الله ويردي .. ولماذا يبادلنا سيغارتين بسيغارة ؟.. وعلامَ هذا
التواضع ! والكرم الحاتمي !

اصلي وايرزاتز !!

وفي اليوم التالي جاء البروفيسور فرج الله ويردي وهو يبتسم
ووجهه الابيض المستدير يبدو وكأنه قمراً منيراً.. ورأسه تظهر
عليه بقية صالحة من شعيرات بيضاء هي صدى سنوات قضاها في
اعمال البر والاحسان في بغداد وبرلين !!

قال فرج : انتيني جيغارة .. انتيك جيغارتين !!

قالها باللهجة العراقيـــة .. يعني اعطني سيغارة واحدة ..
اعطيك سيغارتين !

وما كاد ان يتم عبارته حتى دخل علينا المشاغب العراقي الزميل
احمد عبد الرزاق وهو يضحك.. قال: لا تعطه يا استاذ أي سيغارة!.
ان دخان البروفيسور فرج الله ويردي هو دخان « ايرزاتز » ..
اي دخان « مقلد » مغشوش ! فالبروفيسور قد صنع هذا الدخان
من ورق اشجار شارع الكورفورستندام الوارفة الظل المتساقطة
من اشجار الزيزفون واشجار اليوكاليبتوس ومزجها بعطر الدخان
فصنع منها « سيغائر » خاصته يبدل بها اثنتين منها « ارزاتز »
بواحدة اصلية من سيغائرنا التي نشربها من (نورث استيت)

بالوانها الثلاثة الحمراء والزرقاء والصفراء ..

لقد اراد البروفيسور الله ويردي ان يشترينـــا بسيغائره « الايرزاتز » ولكننا لم نكن بضاعة سهلة لنستسلم بمثل هـذه السهولة للمضاعفة العددية .. فنحن نهتم بالنوع اكثر من الاهتمام بالعدد !.

فلقد كنا في حرب بين التقليد وبين الاصلي..بين الايرزاتز.. وبين « الايخت » او « الوارهايت » !

ديبلوماسي عراقي ..

ان قصة البروفيسور فرج الله ويردي تستحق الشرح والدرس باسهاب سنأتي على ذكره في الكتاب الخاص الذي سينشر من سلسلة هذه الكتب « هنا برلين .. حي العرب » بعد قليـل عن سماحة « الافندي » الحاج امين الحسيني وعن « الزعيم » رشيد عالي الكيلاني .. زعيم الطريقة القادرية الجيلانية والادوار الطريفة التي لعبها البروفيسور الله ويردي – عطاء الله بالعربيـة .. في حياة « الزعيم » رشيد عالي السياسية في خلال السنتين الاخيرتين من الحرب العالمية الثانية .

انني في عرضي شخصيات الرجال الذين تعاونوا معنا في الاذاعة العربية ببرلين من قريب او من بعيد أعطي القراء فكرة ، بل صورة حية لهؤلاء السادة .. بوصفهم رجال الطليعة الذين وضعوا اسس التعاون العربي – الالماني ، وكان لكل واحد منهم دوره القليل او الكثير في جهاز دعايتنا القوي المنظم ، ان خـــيراً فخير .. او شراً فشر !

في الخامس عشر من شهر تموز ١٩٤١ ، اي بعد شهرين من

اعلان الكيلاني الحرب على نفسه وعلى حليفته التي صارت «سابقة.» بريطانية ، قدم لي ساعي البريد برقية مصدرها روما ومكتوبة باللغة الفرنسية هذا نصها :

ميتر يونس بحري راديو ديفيزيون اراب بيرلان ! اي الاستاذ يونس بحري الاذاعة العربية برلين ..

اريفيرون دومان انهالتر بانهوف اونزاور . سالم الالوسي !

اي نصل غداً محطة انهالتر على الساعة ١١ . سالم الالوسي .

كنت انى ذهبت وانى حللت اترك عنواني في «سنترال تلفون» الاذاعة العربية ليكون الاتصال بي عند الضرورة سريعاً ومنتظماً وفي الواقع فان هذا العمل لم يكن ضرورة ماسة لان رجال هملر « الشطار » كانوا اتبع لنا من ظلنا.. فلي منهم « ملاكين حارسين » قد صارا لي بالتناوب مع من يخلفها في مراقبني « كراماً كاتبين » يكتبون ما افعل في كل ساعة ويوم !

• اخبرت الوزير الالماني الدكتور فريتز غروبا ببرقية السيد سالم الالوسي وكان السكرتير الاول في المفوضية العراقية في روما ، ولما كان الوزير العراقي فيها غائباً فقد قام باعمال المفوضية ولما قطع العراق علاقته مع ايطاليا لم يشأ السيد سالم الالوسي العودة الى العراق ، بل فضل المجيء الى برلين ولم اكن بعد قد علمت اسباب رفضه العودة الى العراق ، خاصة وقد كان الموظف العراقي الوحيد في المفوضية العراقية بروما .

لاجيء سياسي !

كنت المكلف من قبل حكومة الرايخ باستقبال الضيوف العرب « الكبار » واعداد الفنادق اللائقة باشخاصهم « الكريمة »

بحسب جليل قدرهم وعلو جنابهم .. ومكانتهم في الدجل السياسي .. ونفاقهم الدولي ، والدس المحلي العربي .. كنت اعرفهم جميعاً !! ولازال اعرف دخيلة مرام كل واحد منهم .. اعرف الزعماء والمتزعمين ! اعرف قادة الرأي .. من قادة الجهال ! اعرف غثهم من سمينهم ..

وهكذا فانني لما استقبلت السيد سالم الالوسي لم استقبله كقائم باعمال مفوضية العراق في روما .. بل كصديق قديم من ايام التلمذة في باريس صحبة السادة موفق الالوسي وعبدالله الباجه جي وباهر فائق وابراهيم الزيبق .. وعبد الكريم الباجه جي والدكتور عبد الهادي الباجه جي !!

وكان السيد الالوسي اول ديبلوماسي عراقي عربي يصل برلين في خلال الحرب ، ومن اجل ذلك حرصت على ان يكون استقباله لائقاً وان انزله منزلا حسناً .. فأنزلته في فندق سبلاناد الكبير ..

وفي اليوم التالي زارني السيد سالم الالوسي في مكتبي بدار الاذاعة ، وصرح لي امام الدكاترة محمود الامين ومهدي الحمداني واحمد عبد الرزاق بما نصه باللغة الفرنسية والعربية :

مون شير ميتر !! لقد رفضت العودة الى العراق والمجيء الى برلين ، اعتماداً مني عليك .. اريد ان ابقى معك لأعاونك في العمل هنا ، فهل من الممكن قبولي لاجئاً سياسياً ..

قلت انني ارحب بك عاملا قوياً معنا هنا .. اما مسألة اللجوء السياسي فهي قضية تقررها وزارة الخارجية الالمانية .. ولكنني ازكيك ، بل انا وكيلك منذ هذه اللحظة ..

قال شكرا ، قلت عفوا ..

بوزارة الخارجية .

وبعد ساعة كنت والسيد سالم الالوسي عند الوزير الدكتور غروبا بوزارة الخارجية نبحث الموقف العربي العام الذي نجم عن دخول ايطاليا الحرب في العراق وفي سوريا ولبنان وفي فلسطين وفي مصر وطال النقاش والجدل ، وكان سالم الالوسي بالرغم عن عصبيته الظاهرة واسع الاطلاع يشارك في الشؤون السياسية مشاركة متئدة رزينة باسلوب ديبلوماسي فرنسي ناعم، فدراسته كانت باريسية فرنسية .

قلت للدكتور غروبا ان السيد الالوسي يرجو أعتباره لاجئاً سياسياً يعمل معنا في الاذاعة العربية .

طلب الدكتور غروبا جواز سفر السيد الالوسي.. وكان جوازاً ديبلوماسياً عراقياً ما ان رآه غروبا حتى قال لا لزوم لطلب الالتجاء السياسي يا هر بجري ، فان الحكومة الالمانية تعتبر كل ديبلوماسي عراقي وعربي ديبلوماسي عامل « مجاز » وان في استطاعة صديقك البقاء معك طول مدة الحرب ضيفاً على وزارة الخارجية ويعامل كأي ديبلوماسي أجنبي معترف به من حكومة الرايخ .

ثم اخذالدكتور غروبا الجواز وسجله في السجلات الديبلوماسية الالمانية ومنح الالوسي بطاقة هوية ديبلوماسية المانية ..

مستشاراً ديبلوماسياً

خصصت للسيد الآلوسي مكتباً الى جانب غرفته في فندق سبلاناد، ووضعت على البابلوحة صغيرة تحمل عنوان : آلوسي .

المستشار الديبلوماسي للاذاعة العربية !

وبقي جنابه يحمل هذا اللقب الى ان توفاه الله اثر الغارة الجوية الكبرى التي شنها الحلفاء على مدينة دريسدن حيث كان يسكن فيها بفندق (بورووبشيرهوف) ضيفاً معززاً على الخارجية الالمانية..

لقد كان رحمه الله لطيفاً للغاية ، محافظاً لا يحب مجالسة المهملين للاناقة في الملبس .. والذين يتحررون من (اتيكيت) المجالسة واداب الحديث والطعام .. والاجتماع ..

لم يشاهد يوماً واحداً يجلس الى جانب سيدة او فتاة بعكس شباب العرب الذين كانوا يتهافتون على النساء تهافت الجياع على القصاع ! وكان يصر على التحدث بالفرنسية مع الالمان .. حتى انه اذا طلب من خدم المشارب الالمان جعة يقول بالفرنسية «دولا بيير !» اي كأس بيرة ..

ان باستطاعتي ان اؤكد لكل من هب ودب بأن المستشار الديبلوماسي لاذاعتنا العربية واعني به الصديق سالم الالوسي لم نستشره استشارة واحدة لاديبلوماسية ولا غير ديبلوماسية طول مدة تعاونه معنا في الجلوس في مقهى كرنسلار او في سهراتنا الحمر في ملهى « اورينت » الشرق الواقـــع في شارع (فازانن شتراسه) ببرلين !

الاعجاب بالجندي الالماني !

انني في تسجيل وقائع العرب واحوالهم في المـانيا في خلال السنوات السبع العجاف التي قاسمنا فيها الشعب الالماني الحلو والمر في حياة جعلتني لا ابالي بالوتيرة الواحدة ولا بتكيف الاحوال ولا بتقلب الرجال في مختلف مشاربهم وبطراز معيشتهم ..

اجل انني في تسجيل وقائع العرب والالمانيين واحوالهم لا اتوخى سوى الحقيقة ووصفهم على علاتهم، وكما عرفتهم وشهدتهم وخبرتهم سواء الاحياء منهم والاموات.. فالسجل يجب ان يبقى متسلسل الحلقات ولا يتضمن صفحات بيضاء خالية من الكتابة والتسطير!

كان الصديق سالم الالوسي متمسكاً بصداقة السيد عبد المطلب السيد يحي امين الصرف على العرب التابع لمكتب حكومة السيد رشيد عالي الكيلاني القادرية في «المهجر» فكانا يسافران معاً ويعودان الى برلين معاً.. ويأكلان معاً.. ولكنهما يختلفان كل الاختلاف في وجهة النظر الغرامية.. والمغامرات الليلية.

فالسيد عبد المطلب نسائي اباحي الى اقصى ما يتصور الانسان من اباحية مطلقة.. والسيد الالوسي «غلامي» متطرف الى ابعد حدود «النواسية..» من معنى!

لقد اقسم السيد الالوسي أغلظ الايمان على أنه لم يمس امرأة طيلة حياته لا بسوء ولا بخير!

ولما جاء برلين قال لي في اول مرة نجتمع فيها بمقهى كرنسلار ان جنود هتلر هؤلاء يستطيعون الانتصار على اعظم جيش في العالم! انظر اليهم كيف يختالون بأجسامهم القوية وبأردافهم الممتلئة.. ان هؤلاء جنود وأي جنود!

صياد ماهر!

لقد كان سالم الالوسي من الصيادين الماهرين.. كان صياداً ليلياً بارعاً يقول للصياد سعيد فريحة روح اقلي بيض!! ولكن شتان بين سالم الالوسي وسعيد فريحة.. فالالوسي يقتنص في صيده الليلي الجنود الالمانيين من الشباب الناهضين.. الذين يسهرون

الليالي في طلب المعالي .. في حين ان الاخ سعيد فريحة يبذل قصارى جهده لاقتناص النكات المستملحة العذبة يغذي بها قراء الصياد الذين يعجبهم صيد سعيد بن فريحة الاصيل النبيل .. الذي استحوذ على اعجاب الشيخ عبدالله الجابر آل صباح فحباه ماله وقلبه .. وصار له ولياً وفياً يغدق عليه مما انعم الله عليه .. ويقول لمن دونه « اورفوار » عليكم ورحمة الله !!

كان الصديق الالوسي يطوف مقاهي ومطاعم وبارات «السو» وخاصة مطعم « كويك» للبحث عن ضالته المنشودة من الجنود المتاربين الذين لا يجدون غرفة للنوم !

وكان يجوب محطات السكك الحديدية بحثاً وراء الذين لا يستطيعون الحصول على مكان ينامون فيه .. ليقاسمهم غرفته الفخمة الانيقة ..

وفي الواقع فلقد كان حظه كبيراً جدا وجداً للغاية.. فلم يكن يأوي الى مخدعه الا وهو يصطحب معه بعض الجنود الذين لو رآهم الناس لظنوا انهم انما جاؤا للمحافظة على هذه الشخصية الاجنبية الفذة !!

قال لي ذات يوم ونحن في مطعم « كويك» في (السو) هل تحب الغلمان ؟

قلت نعوذ بالله .. يا سالم ، ان هذا الموضوع حرام وممنوع في المانيا ..

قال: انه ممنوع في النهار.. اما في الليل فانه حلال ومستحب !

قلت ومن قال لك ذلك ؟!

قال : انني تأكدت ذلك من الجنود انفسهم .. فان الجنود

الذين اتصلت بهم وعاشرتهم اكدوا لي بأن هذه النزعة مشاعة بين الجميع ! بل هي غية مستحبة لا تحتاج الى مقدمة ولا الى براعة استهلال !

قلت ان عقاب هذه الفعلة الشنعاء هي « الحصي » ثم السجن عشر سنوات !!

كلام الليل والنهار

قال ان هذا كلام الليل .. يمحوه النهار .. فللزعيم هتلر من المصاعب والمتاعب ما يلهيه عن الاشتغال بمثل هذه القضايا «العابرة» التي لا علاقة لها بجهاز الدولة .. ولا بالجهاز الحربي الالماني !

فانا انما ارفه عن الجنود الالمانيين حسب طريقتي التي حبذوها واستحسنوها ، فلماذا اعاقب عليها ؟ قلت ان فلسفتك هذه معقولة من حيث الجذور والاصول .. ولكنها مرفوضة من حيث الامر الواقع .. فنحن العرب في المانيا لم نفد على هـذا البلد لنخالف القوانين او نرفه عن الجنود .. بل نحن هنا من الضيوف الكثيرين الذين تعج بهم المانيا .. فلنكن عند حسن ظن الالمانيين . ثم لا تنسى انك ديبلوماسي .. وان وضعك ادق من غيرك . فارجوك ان تكف عن اعمالك هذه .. انني انذرك !

ضحك السيد سالم الآلوسي من اقوالي . وراح يتهكم على انذاري ثم اردف قائلاً: انك تخطىء يا استاذ في تقديرك وحسبانك . فهل تعتقد بان البوليس الهتلري يجهل الحقيقة ؟ او انه لا يعلم شيئاً مما افعل ؟

انني قد سجلت الربع من مجموع بوليس المنطقة المحيطة بفندق سبلاناد وعلى رأسهم مفوض البوليس الجميل الرشيق بيتر مولر .

انه يعرفك حق المعرفة..وهو يثني عليك الثناء العاطر ..ولكنه يأخذ عليك مأخذاً خطيراً ايدته عليه ! وهو انك لا تفهم لذة الحب الغلامي !

لم انفوه بكلمة واحدة تعليقاً على اقوال الصديق الآلوسي.. وماذا عساني ان اقول بعد كل هذه الصراحة المفجعة !

فاذا كان السيد سالم قد تحكم برجـــال البوليس ومفوضهم وبالجند المتاري وارضاهم ورفه عنهم كما يؤكد فما هو شأني انا .. وعلامَ اتدخل في شؤونه بمثل هذه الحرارة وهذه الغباوة !

تركته وشأنه ولم اعد اسأل عن مغامراته الليلية ولا عـن الجنود ورجال البوليس الذين يرفه عنهم ترفيهاً صار اعجوبة من اعاجيب برلين المتارية !

زميل المفتي

لما اخرج الدكتور كمال الدين جلال من الاذاعـــة العربية فجأة ولأسباب لا تزال مجهولة ، اقترح على الدكتور حمدي الخياط الذي كان يعمل في الاذاعة مترجماً ومذيعاً تعيين الدكتور زكي كرام في الوظيفة التي شغرت بدلاً عن الدكتور جلال ..

كنت قد تعرفت على الدكتور زكي كرام قبـل نشوب الحرب بعدة سنوات ، وقد اختار برلين موطناً (ثالثاً) له .. فهو سوري عربي الاصل واظنه من حلب ، ولكنه تجنس بالجنسية التركية باعتبار كونه من قدامى ضباط الحرب العالمية الاولى ، فلقد كان ضابط احتياط في المدفعية بقسم الرشاشات والاسلحة الخفيفة وتخرج من الدورة التدريبية العثمانية « التعليمكاه » صحبة المرحوم العقيد محمود سلمان الجنابي احد ضباط الانقلاب العسكري

ببغداد والصحفي التونسي المعروف السيد عبد القادر بو لكباش، وصحبة المفتي السابق بفلسطين الحاج امين الحسيني الذي كان بدوره ضابطاً برتبة « نامزيد ضابطي » في قسم الرشاشات ايضاً !

وكان زكي كرام من العرب الاوائل الذين تملكوا في برلين ابان التضخم النقدي الالماني فاشترى عمارة بكاملها بمبلغ متواضع لا يزيد عن ٢٥ جنيهاً ذهباً .. كما فعل السادة عبد الكريم السباعي رئيس بلدية بيروت السابق .. والدكتور موسى الشهبندر سفير العراق اليوم في واشنطن والمغفور له الامير شكيب ارسلان الذي اشترى عمارتين الاولى في ساحة سافيني بلاتس بالقرب من متحف تل حلف لصاحبه عالم الاثار الديبلوماسي الالماني البارون فون اوبنهايم ، والعمارة الثانية في شارع (غرولمان شتراسه) .

توحيد الكويت والعراق

عينت الدكتور زكي كرام مذيعاً ومترجماً في الاذاعة فصار خير خلف للدكتور كمال الدين جلال .. وتم الانسجام فيما بيننا ..

لقد كان الدكتور زكي محدثاً بارعاً ، ولكنه بطيء الحركة لأنه أعرج .. فلقد اصيب في الحرب العالمية الاولى بجروح بليغة برجله اليمنى اضطر الاطباء الى قطعها ووضعوا له رجلا خشبية عطلت عليه الحركة بحرية ، وصار يعرج ويمشي بصعوبة ومع ذلك فلقد كان جم النشاط يكفيك ان تكلفه باية خدمة ليقضيها لك بسرعة وبطيب خاطر ..

كانت للدكتور زكي كرام علاقات واسعة النطاق مع قادة الحزب النازي عامة ورجال وزارة خارجية الرايخ خاصة ..

وله صداقات كثيرة مع زعماء العرب والمسلمين في الشرق والغرب وفي المهاجر .. فما ان ينتشر اسم زعيم جـــديد او متزعم في الشرق الادنى والاوسط والاقصى ويذيع صيته الا وينسدفع الدكتور كرام لمكاتبته والاتصال به ..

واذكر انني لما ذهبت الى جاوا ــ هندونيسيا في سنة ١٩٢٩ موفداً من المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود للقيام بالدعاية للحج صحبة العلامة الكبير مؤلف تاريخ الكويت الشيخ عبد العزيز الرشيد واصدرنا في بتافيا - جاكارتا ــ مجلة (الكويت والعراقي) التي دعونا بها الى ضم الكويت الى العراق لأول مرة في التـــاريخ العربي الحديث ، كتب لي الدكتور زكي كرام مقالاً أيد فيه دعوتنا لتوحيد الكويت والعراق مبرهناً على ان هذين البلدين الشقيقين يؤلفان معاً وحدة اقتصادية واجتماعية لاغنى لأحدهما عن الآخر .. ناهيك عن الضرورة الستراتيجية البحرية والبرية .. وقد شجعنا على المضي في هذه الحركة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود الذي كان يمول وفدنا الى هندونيسيا ويصرف من ماله الخاص على الصحف التي اصدرناها هناك باللغتين العربية والماليزية ..

ومنذ ذلك الحين لم تنقطع اواصر الصـــداقة بيني وبين الدكتور زكي كرام !

جامعة عربية !

بدأ الدكتور زكي كرام عمله في الاذاعة العربية ببرلين وهو على اتم ما يكون من النشاط ، والادراك للعمل الجديد الذي

اضطلع بمسؤوليته ، فكان يترجم التقارير السرية التي تردنا يومياً من مختلف قيادات القوات الالمانية المسلحة ومن مختلف الوزارات « للمعلومات الشخصية » وليست للاذاعة والنشر ..

والحق فان عمل الدكتور كان مرضياً للغاية فأراحني من (كسل) البروفيسور فرج الله ويردي الذي صار منذ اول سنة ١٩٤١ كسلاً مزمناً .. فاطلقت عليه لقب رئيس (تنابلة) الاذاعة .. بعد ان كان رئيساً لتراجمتها !!

وسهلت للدكتور زكي المجال ليكون مذيعاً اضافياً الى جانب نخبة من المذيعين الذين دربتهم على الاذاعة . وكانوا حسب القدم في العمل يتألفون من الاساتذة التالية اسماءهم :

– حمدي الخياط ، محمود الأمين ، مهدي الحمداني من العراق ، هاشم معلوف من لبنان ، عزيز ضومط وحسن تيوفيل حداد من فلسطين ، رشاد جاسم ، زكي كرام ، من سوريا ، شوقي عميرة من الاردن الهاشمي . وبوزيد من مراكش وعبد الرحمن ياسين « مراد » من تونس .. والشيخ محمد صالح من الجزائر .

وهكذا صارت هيئة الاذاعة العربية في برلين جامعة عربية ! هذا ناهيك عن جيش لجب من المحررين والكتاب والمترجمين .. والضاربين والضاربات على الآلات الطابعة ..

موضع ثقة الجميع

لما اسسنا اذاعة باريس العربية التابعة لاذاعتنا من برلين طلب الي ان اذهب الى طنجة لاختيار بعض المذيعين للقسم المغربي العربي لاذاعة باريس فاعتذرت بسبب تراكم العمل بالنظر للحرب الاثيرية الصاخبة التي شنت علينا من اذاعات لندن والقاهرة وام درمان

وبغداد وانقرة ..

وبناء على ما تقدم فلقد اقترحت ايفـاد احد مساعدي للسفر بالطائرة الى مدريد فطنجة .. وفي اليوم التالي جاءني الدكتور زكي كرام ورجاني ان اوفده الى طنجة ليقوم بالمهمـة خير قيام خاصة وهو يحمل جواز سفر تركي لا يلفت نظر جواسيس الحلفاء في تلك المدينة الدولية الزاخرة بكل من هب ودب من جواسيس ومرتزقة واذناب الاستعمار ..

قلت معترضاً : ولكن رجلك ألآ تؤذيك في السفر ؟

قال وهو يبتسم : انا جندي قديم دعني اقوم بالمهمة .. فأنا لست ذاهباً للاشتراك في سباق دولي للركض !!

قلت : تهيأ للسفر غداً ..

وفي الواقع فأن الدكتور زكي كرام قد قام بواجبه خـير قيام .. فصار موضع ثقة الجميع ..

تغيير مفاجىء !

وبعد شهرين من عودة الدكتور زكي كرام من رحلته الى طنجة زارني الهر شابوي السكرتير الشرقي لفيلسوف الحزب النازي الفريد روزنبوغ وهو من اهم رجال امير البحر كاناريس في برلين .. وكان صديقاً حميماً لي طالما قضينا سهرات ممتعة عنده في داره . واحتفظنا بهذه الصداقة الى آخر يوم من ايام برلين ..

وقبل أن يجلس الهر شابوي قال لي وهو متجهم الوجـــه خلافاً لعادته :

– هل يشتغل في الاذاعة هذا الشخص؟ واراني جواز سفر .. قلت ان صاحب هذا الجواز قد اوفدناه منـذ شهرين الى

طنجة للقيام بمهمة سرية فقام بها خير قيام .

قال وهو يحدجني بنظرة فاحصة : هل انت واثق منه ؟

قلت كل الثقة بل هو موضع ثقة الجميع !

قال اين هو الان ؟

قلت لقد منحناه اجازة لمدة اسبوع ابتداء من يوم غد ليذهب الى فيينا لزيارة زوجته التي تستشفى هناك .

قال : ان صاحبك قد تقدم امس يطلب « سمة خروج » من المانيا الى تركيا !!

قلت وما المانع في ذلك ؟.

فنظر الي الهر شابوي بذهول ثم قال :

ان صاحبك يثق بك كل الثقة فهل لك ان تساعدنا على كشف حقيقته !

قلت وكيف يمكنني ان اساعدكم ؟

قال تسافر الليلة بالطائرة الى فيينا وتكون غداً في قاعة فندق امبريال الكبرى على الساعة العاشرة صباحاً .. ان غرفتك محجوزة في الفندق !

مهمة ٢٤ ساعة !

سجلت تعليقاتي السياسية لاذاعات اليوم التالي سلفاً وعلى عجل ..

وفي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم كنت في فيينا وكان لي فيها اصدقاء كثر .. ولكنني أحببت ان اقضي ليلة ممتعة بعيداً عن ظلمة برلين وسكوتها الرهيب في الليل بعد ان تمت عمليات « التظليم » –فردونكلونغ– مدينة برلين وامهات المدن الالمانية .. ولكن فيينا بقيت تغمرها الانوار الكهربائية الساطعة حتى نهاية

سنة ١٩٤٠ !

كان صديقي القديم فرج توما مدير السفر والاقامة العراقيه سابقاً قد سكن فيينا منذ سنة ١٩٣٢ يوم ان احيل على التقاعد في العراق لمرض في صدره وقد نصحه الاطباء بالشخوص الى فيينا والمعالجة فيها .. والسيد فرج توما من اكثر العرب حباً لخدمة العرب والسهر على قضاء حوائجهم لا فرق عنـــده بين عراقي او سوري او مصري او مغربي .. ان كل ناطق بالضـــاد لديه يمثل العروبة بطرائقهـــا وبيلدانها وبلهجاتهـــا والحق فان فرج آل توما كان مثـــال العربي الكريم الذي لا يرد لسائل سؤالا ، ولا لذي حاجة طلباً .. وكان بالنسبة لقدم عهده في سكنى باريس وبرلين وفيينا اعرف النـاس بالعرب الاوائل الذين كانوا يسكنون المانيا وفي طليعتهم السادة عبدالكريم السباعي وموسى الشهبندر والدكتور زكي كرام وانطون ديب صاحب المطبعة العربية ببرلين .. وغيرهم وغيرهم من السادة العرب النجب .

كلمت السيد توما في مقهى فيكتوريا في حي « شوتن تور » الارستوقراطي بفيينا ومعناه بالعربي الفصيح —باب الاسكوتلنديين

— فقال من اين تتكلم ؟

قلت : سأكون عندك في خلال ربع ساعة !

وفي الوقت الموعود كنت الى جانب صديقي فرج الذي كان دائرة معاوف تحتوي على ابناء العرب المقيمين في المانيا وفرنسا والنمسا .. وكان بحكم وظيفته مديراً لبوليس الاقامة والسفر في العراق يستقصي انباء الرائح والغادي لا لشيء سوى حب الاطلاع والمعرفة والفضول البوليسي الذي صار غريزة في نفسه ..

عميل تركي !

كان السيد فرج آل توما بخلاف صنوه فرج الله ويردي عدواً لدوداً لكل ما هو تركي او عثماني ! فلقد بذل قصارى جهده وهو في المانيا في مطلع الحرب العالمية الثانية ان يبحث عن عثرات الاتراك والمتشيعين لهم من العرب وعلى الاخص بعد اقتطاع سنجق الاسكندرون من سوريا وضمه الى تركية اتاتورك !!

رحب بقدمي الصديق فرج وسألني عن الصديقات الفاتنات غيردا ماسون وفراولاين ينيكا فطمنته على انهن لا يزلن بخير والعلاقات فيما بيننا تسودها روح الود والحب المتبادل !

قال : ما السر في هذه الرحلة المفاجئة ؟

قلت : « تغيير هواء » !

قال : هواء سياسي .. ام غرامي ؟

قلت : الاثنين معاً ..

فقال بلهجة البوليس الواثق من نفسه : اسمع يا يونس ، لقد جئت لتسألني عن وضع احد ابناء العرب !! اليس كذلك ؟

قلت وحقك لم اقصدك بالذات .. بل طلب الي الذهاب الى فينيا وقد خاطبتك تلفونياً من تلقاء نفسي لاقضي معك ليلة حمراء في حانات « غرنزبنغ » لنستمتع بأغاني «شراميل موزيك» .. ونتفكه مع هانز موزر وجوقته الموقرة !!

قال هيا افصح وتكلم فانا على استعداد لخدمتك ..

قلت هل تعرف الدكتور زكي كرام ؟

قال : ذلك الأعرج ؟

قلت نعم !!

فقال بدون تفكير وانتظار انه عميل تركي !!

اوقف بالجرم المشهود !!

وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي كنت في القاعة الكبرى بفندق امبريال .. وبعد عشر دقائق رأيت صديقي المرشابوي يدخل القاعة وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال.. فأشرت له بيدي فتقدم نحوي .. وهو يقول بدون ان يصافحني هيا بنا الى الخارج ..

وامتطينا سيارة قصدت بنا القنصلية التركية ..

وهناك في الساعة العاشرة والنصف وعلى مدخل القنصلية التركية وقفت سيارة اجرة «تاكسي» من سيارات فيينا التقليدية ونزل منها الدكتور زكي كرام وهو يحمل حقيبته المنتفخة الاوداج .. وما ان رآه المرشابوي الا ونزل من سيارتنا كالبرق الخاطف واسر اليه بكلمات لم اسمعها .. فعاد الدكتور ادراجه الى سيارتنا وهو بادي الاضطراب منزعج الخاطر ! ولما رآني اطمأن وقال خير ان شاء الله ما هي القصة ؟

قلت والله لا علم لي بالموضوع ..

ركب الدكتور سيارتنا والعرق يتصبب من جبينه ثم قال ما هي هذه القصة التي تمثل معي ؟

قلت ان الموضوع لا يخصك انت شخصياً بل يخص المانيا !!

قال وما هي علاقتي بالمانيا ؟

قلت علاقة الذئب بالحمل !!

قال ما معنى كلامك ؟

قال شابوي انك تلعب على الحبلين .. التركي والالماني .. او

بعبارة اصح تجذب حبلك في صالح الحلفاء ..
قال هذه جريمة نكراء لن اقبلها على نفسي !
قال شابوي سنتدبر الامر بعد حين ..

وثائق واوراق ..

وفي شقة فخمة بفندق امبريال بفيينا جلسنا نحن الثلاثة نتطلع في وجوه بعضنا بعضاً .. ونحن سكوت وكأن على رؤوسنا الطير .. ونكاد ان نسمع دقات قلب الدكتور التي صارت شديدة الخفقان وبعد نصف ساعة اردت الخروج للذهاب الى غرفتي لتغيير حذائي ، فوجدت عملاقين من عمالقة حفاظ الامن « زيشر هايت دينست » يقفان على الباب .. ولما هممت بالخروج اشار الي الحارس الثالث الذي كان يقف في منتصف الممر ان اعود ادراجي بكل لطف !

عدت وانا اتفرس بوجه الصديق شابوي ، ولكنه لم يقل شيئاً ، وبعد ربع ساعة انفتح الباب على مصراعيه ودخل اربعة رجال وهم جميعاً بالملابس المدنية ، وتقدم كبيرهم ففتح باب الغرفة الثانية وهو يقول للدكتور زكي تفضل ، فحمل الدكتور حقيبته ودخل الغرفة مع الرجال الاربعة وبقيت مع شابوي لوحدنا !

ومرت ساعة ونحن في الانتظار ..

كانت الساعة تدق الواحدة بعدالظهر عندما اطل علينا ضابط الماني برتبة عقيد فأدى التحية العسكرية ثم قال لي باللغة التركية!

اعتقد بأنك تجيد قراءة اللغة التركية بالحروف العربية !

اجبت بالايجاب ..

قال تفضلا واشار الى الباب الذي دخل منه الدكتور الى

الغرفة الثانية فلم نجد له اي اثر .. لقد ذهب مع المدنيين الاربعة..
ولكن محفظته كانت على مائدة ضخمة وقد افرغت محتوياتها
فوقها ، خرائط مختلفة .. احصاءات عن منظمة توت .. وعن
مؤسسات الشباب الهتلري .. وصور فوتوغرافية لاهم التقارير
السرية التي كانت تصلنا من مختلف قيادات القوات المسلحة الالمانية!

واهم من هذا كله كشف مفصل باسماء جميع المشتغلين بالاذاعات
العربية والتركية والايرانية والهندية مع صورنا وعناويننا وارقام
« تلفوناتنا » هاتفنا والبلاد والجنسيات التي ننتمي اليها.. وتواريخ
بدء عمل كل منا في الاذاعة الالمانية ..

لقد بهت من هذه المعلومات المطولة عنا ، فأنا شخصياً لم اكن
محيطاً بمثل هذه التفصيلات الدقيقة عنا !

تقرير خطير !

كنت أتطلع الى الاوراق والوثائق وانا مذهول مما ارى..
لقد تصورت وانا اشاهد هذا المنظر الاخاذ المروع الاثر المبهج
الذي ستحدثه هذه المجموعة النادرة في نفس من سيتسلمها هناك
في انقرة سواء أكان اميركياً ام بريطانياً ، ولكن تركيا لم
يكن يهمها اي شيء عنا .. وهذا ما يبرهن على ان العاصمة التركية
لم تكن الا (صندوق بريد) لبريطانيا وحليفاتها !

قال لي العقيد الالماني وهو يقدم لي احد المغلفات السميكة
الثلاثة الموضوعة الى جانب حقيبة الدكتور زكي : ما هو مصدر
هذا التقرير ؟

وقرأت باللغة التركية وبحروف عربية المصدر « برلين رقم ٢١ »!
وأردت ان اقرأ المزيد فقال معتذراً ارجوك ان تقف عند

هذا الحد !!

ثم اردف قائلا هل انت تحلف ؟

قلت انني ضابط الماني وبرتبة كابتن.. وقدمت تذكرة هويتي العسكرية التي هي بمثابة جواز سفر ديبلوماسي ايضاً !

قال اقرأ باسم «الزعيم» !

تقرير رقم ٦٣ تاريخ ١٠ ديسمبر -كانون الاول ١٩٤٠

كنت اقرأ التقرير بصوت عال باللغة التركية والعقيد الالماني الذي ما عرفت اسمه حتى كتابة هذه السطور يترجم ويكتب بالالمانية النص .

ماذا يحتوي التقرير ؟

كان التقرير رقم ٦٣ يتضمن وصفاً دقيقاً لسير المفاوضات الاسبانية والالمانية حول مستقبل العلاقات بين «الفوهرر» والغوادوليو «الزعيم» الاسباني فرانكو وحول توحيد مراكش بضم طنجه والقسم المحتل من فرنسا بالمنطقة الخليفية ، وجعل السلطان محمد الخامس عاهل مراكش وبلاده تحت حماية اسبانيا .. وبهذا تنقل مراكش باقسامها الثلاثة من الاحتلال الفرنسي الى الاحتلال الاسباني : ويتعهد الجنرال فرانكو مقابل هذا «التعديل» في سياسة افريقيا الشمالية - المغرب العربي - باعلان الحرب على بريطانيا ويساهم مع القوات الالمانية والايطالية المسلحة في احتلال جبل طارق وسد المضيق او بعبارة اصح اغلاق البحر الابيض المتوسط في وجه بريطانيا ..

والتقرير رقم ٦٣ هو مجموعة من ١٥ تقريراً وردوا من مختلف العملاء والمصادر في ١٥ مدينة وعلى الأخص من مدريد وروما

وباريس وطنجة وتطوان وارسلت هذه التقارير الى المقر الرئيسي في برلين «رقم ٢١» حيث تدرس وتنسق ثم توضع صيغتها النهائية على ضوء التقارير الخاصة التي استقيت من منابع موثوقة !!

لقد استغرقت العملية ثلاث ساعات فقط . اخذت في خلالها صورا لجميع المستندات والتقارير والصور ، ودست بين الاوراق والمغلفات تقارير مشابهة مغلوطة ، وجيء بحقيبة جلدية هي صورة طبق الاصل لحقيبة الدكتور وضعت فيها جميع محتوياتها كما كانت من قبل وختمت بالشمع بنفس الختم والحروف !!

عملية بارعة !

ان مصلحة مكافحة التجسس الالمانية التي يرأسها امير البحر كاناريس كانت تصنع المعجزات في التزوير البارع المتقن الى حد الابداع ، فلقد كانت المصلحة تراقب الدكتور زكي منذ هجوم هتلر على بولندا اي منذ مطلع شهر تشرين الاول ١٩٣٩ .. ولما أعطيته عملا في الاذاعة لفتت محفظته الجلدية الضخمة التي كان يحملها بالرغم عن ثقلها وهو اعرج نحيل لا يستطيع ان يمشي نصف كيلومتر في الساعة ، انظار رجال كاناريس ، فأخذوا قياسها وشكلها داخلا وخارجاً .. والذي اثار الدهشة حقاً ، دهشة رجال كاناريس لادهشتي انا .. لأنني لم اعلم كل هذه التفاصيل الا فيما بعد ان وقع العصفور في الشبكة .. شبكة هتلر .. لا شبكة الصياد العربي البارع الاستاذ سعيد فريحة ..

اجل لقد اثار دهشتهم .. ان حقيبة الدكتور كانت تستبدل القديمة منها بحقيبة جديدة اخاذة المنظر ومن جلد (الخنزير) الغالي الثمين .. خاصة وان الجلود على اختلاف انواعها كانت من

جملة المواد الضرورية المقننة في منهاج الرايخ الثالث الحربي !

ولما اخذ الاربعة الاوائل الدكتور من الغرفة التي كنا فيها اخذوا منه حقيبته واستبدلوها بالحقيبة الثانية المختومة .. ثم لما تقصينا وطرنا من الحقيبة الاصلية اعيــــدت اليه كما كان عهده بها .. بأن استبدلت للمرة الثانية بالحقيبة المزيفة .. وتظــاهر حفاظ الأمن بأنهم لم يفتحوها !!

وهكذا اطمأن الدكتور زكي كرام ، وعاد الينــا على الساعة الخامسة وحيداً وهو يقول لي كسابق عادته : لقــد ظلمتني يا استاذ بحري ألم اقل لك انني بريء ؟!

قلت : هنيئاً لك والحمد لله على حسن العاقبة ..

وداعاً يا اذاعة !

عدنا الى برلين بصيدنا الثمين .. على متن طـــائرة عسكرية خاصة .. وتركنا الدكتور زكي ينهي مهمته بكل حرية وبدون مراقبة .. اذ انه كان في العاصمة النمسية كساعي بريد ينقل الى المرسل اليهم بريداً صادقاً اومزيفاً .. والله وحده اعلم بالسرائر !!

وبعد انقضاء اسبوع اجازة الدكتور زكي في فيينــا وفي تركيا .. فلقد سافر بالطائرة في اليوم التالي الذي غادرنا فيه فيينا الى استامبول ، تاركاً الحقيبة المشار اليها او «الكوربيو..» في عهدة القنصلية التركية ! سمعت حذاء الدكتور العسكري الثقيل يحدث الضجيج المزعج المعتاد على خشب الممرات الطويلة المؤدية الى مكتبي !

ودخل عليّ الدكتور ، فعانقني عناق الاخ المشتاق بعدطول الغياب !!

قال متى ابدأ بالعمل ؟

قلت : يا دكتور انني لا اخفيك بأننا هنا في الاذاعة العربية لا نحتاج الى كفاءات علمية او الى جهابذة اللغة العربيـة .. بل نحتاج الى شباب يرغبون في اتمام تحصيلهم ، فنساعدهم مادياً لمواصلة الدراسة .. وانت بفضل الله ! وفضل جهادك العسكري القديم قد حصلت على املاك وثروة تحسد عليها .. وانني على استعداد لمنحك راتب ستة اشهر كتعويض ..

لقد كان الدكتور زكي اخجل من جرادة !! كان حريصاً على جمع المال .. يعدده ويضمه الى بعضه بعضاً .. وبسرعـة البرق الخاطف قام بعملية حسابية وهو الضابط المدفعي التركي فـكان المبلغ مسيلاً للعاب !!

وبهذه الوسيلة انتهت مهمة الدكتور وانصرف الى داره حيث بقي تحت المراقبة طيلة مدة الحرب .. وانطوت صفحة عتيقة من صفحات اذاعة برلين العربية !..

فترة انتقال !

انني عندما اكتب هذه الصفحات التاريخية انما افضح امراراً كان من الواجب ان ابقيها طي الكتمان لانها تمس شخصيات عربية كان لها شأنها في دائرة المحيط العربي .. ولكن ما العمل وان واجب الحقيقة يقضي علي ان اقول الحق ولو على نفسي .. وقد رأى القراء انني كنت ولا أزال صريحاً في سرد هذه الخطى التي مشيناها والتي كتبت علينا كما مشيناها نحن العرب .. وكما مشاها القادة النازيين والفاشيستيين وغـيـرهم من بريطانيين وفرنسيين وشيوعيين !

لقد احدثت قضية الدكتور زكي كرام رد فعل عنيف في قرارة نفسي .. فللمرة الثانية بعد فصل الدكتور كمال الدين جلال من اذاعتنا العربية بناء على طلب الحزب النازي ، يطلب الي ان افصل الدكتور زكي كرام !.

اما الدكتور جلال فانني لم آخذ عليه اي مأخذ .. ولكن الالمان طلبوا الي اخراجه فصرفته بلباقة وبألم لأنه كان زميلاً قديراً واستاذاً ماهراً ، وقد تألمت لأنه كان مريضاً يشكو من اوجاع مزمنة في صدره ..

ثورة العرب الاحرار !

كان الهر بوفنغر رئيس القسم الشرقي في الاذاعة الالمانية يخافني ويحسب لي الف حساب ، وكان يعرف مقدار تأثيري على الدكتور غوبلز وزير دعاية الرايخ وعلى الدكتور روزنبرغ فيلسوف الحزب النازي « وعلى الدكتور غروبا الوزير المفوض .. ثم على «الزعيم» هتلر بالذات !! بطريق غير مباشر ..

فلما طلبت اليه ان اقوم بعملية تطهير شاملة في الاذاعة العربية ، قال لي ارجوك ان تعطيني مهلة ٢٤ ساعة .. وكان مساعده الهر كولباخ من أعز اصدقائي .. أضف الى ذلك المراقب الدكتور آبل « الذي صار اليوم مديراً للقسم الشرقي في وكالة الانباء الالمانية وقد زار بيروت في الشهر الماضي .. »

انني عندما استعرض الاشخاص والاحداث والوقائع التي مرت بنا ونحن في السنة الاولى من الحرب انما استعرض شريطاً سينمائياً ناطقاً عن هاتيك الامور التي انطبعت في الذاكرة واستوعبتها المخيلة استيعاباً لا تقدر على دثر معالمه خرافات المضللين

ولا ادعاء القومية العربية الذين صاروا اليوم يتاجرون بالوطنية على حسابنا !! نحن قدامى المجاهدين الاحرار الذين وضعنا دمائنا على اكفنا فقارعنا باطل الاستعمار بالحجة .. ودحضنا مفتريات اعداء العروبة بالفعل.. وشققنا لانفسنا طريقاً محفوفة بالمكاره ، لا يستطيع ولوجها الا كل من كتب بدماء قلبه على قراطيس جبينه :الحرية للعرب والاستقلال لنا ..ان بلاد العرب للعرب.. حي العرب !!

حي العرب !

بعد اربعة اشهر من تأسيسي اذاعة برلين العربية رحت ابحث عن تعبير أحيي به العرب ، وانتهض به هممهم ، وادفعهم الثقة بانفسهم وبعدالة قضاياهم ! وفي ليلة مطيرة من ليالي شهر أغسطس ١٩٣٩ كنت في منزل الدكتور علي الصافي في شارع « مدمزن شتراسه ..» نتناول طعام العشاء قال لي يا اخ بحري يجب ان تحيي العرب بعبارة متواضعة هي« حي العرب» على غرار « هايل هتلر » فكلمة « هايل » معناها « حي » . وعبارة هايل هتلر تقارن معناها « حي » العرب.. وهكذا استعضنا عن كلمة هتلر بالعرب !

العبارة متشابهة .. فصار كل المتعاونين معنا من النازيين يحيونني بعبارة « هايل اراب » ظناً منهم بأن حي العرب معناها حي هتلر بالطريقة العربية !

لقد سارت عبارة « حي العرب » مسير الشمس في الشرق والغرب ، فصارت التحية المستحبة لدى المناضلين العرب الاحرار. اللهم الا ادعياء القومية العربية « العروبيون المستعربون » الذين قتلهم الحسد واكل قلبهم الباطل والفساد فراحوا يحاولون عبثاً

النيل من كعب اقدام عمالقة القومية العربية ، ويتقولون علينا الاكاذيب السافلة والدس الرخيص الذي لن ينال منا منالا .. فلنا من حصانتنا الوطنية وايماننا بالقومية العربية ما يجعل سهام اولئك الاقزام الخوارج على العروبة ترتد اليهم مع حلوفهم .. خاسئة وهي حسيرة ..

لقد خلقنا للكفاح والنضال ومكافحة الصهيونية والشعوبية والاستعمار على اختلاف الوانه واشكاله ومن اجل ذلك فاننا سنواصل تحية العرب من برلين او من القاهرة . أو بغداد . وبيروت !

بلاد العرب للعرب

كان منبر الاذاعة العربية من برلين خير مجـــال لاستنزال الوحي ، لمواجهة تيارات الدعـــاية اليهودية ودعاية الاستعمار ، واظهار العروبة بمظهر الجبار المتوثب للدفاع عن حقه في الحياة الحرة الكريمة ، وفي الاستقلال والسيادة التامة الناجزة .. فكنت ادحض ولا ازال مزاعم المستعمرين من يهود وغربيين وشرقيين . هؤلاء المستعمرين الذين اعتقدوا ظلماً وعدواناً بأن البلاد العربية قد صارت نهباً مقسماً فيما بينهم .. فيحتلون منها ما يشتهون ، ويبسطون نفوذهم على المناطق الغنية بالثروات القومية مـا ظهر منها .. وما هو مطمور تحت الارض لمجرد اشباع نهمهم الاستعماري واستغلال خيرات العرب ليعيش العلوج في بلادهم وهم يرفلون في بحبوحة العيش الرغد .. في حين يبقون العربي يبيت في عقر داره على الطوى .. خاوي الوفاض .. وهو في اغلب الاحيان لا يملك شروى نقير !

كانت هذه الحقائق المفجعة هي التي اوحت من وسائل قوت في

روح النضال وشددت قواي وشحذت عزيمتي فقلتها عبارة صاخبة مدوية في الآفاق واجواء دنيا العرب :

يا يهود العالم ! ويا ايها المستعمرون اعلموا علم اليقين باننا نحن الاسياد في بلادنا .. ان بلاد العرب ليست لكم ... ان بلاد العرب للعرب . حي العرب .

***



نحن في برلين !

العرب المتزعمون قبل مجيء المفتي والكيلاني ..

تتمة المتعاونين معي في اذاعة برلين العربية !!

تجاوب مستحب !

ان التجاوب المستحب الذي صار لأذاعة برلين العربيـــة ، ولنداءات « حي العرب .. » و « بلاد العرب للعرب » في البلاد العربية قد اصبح صدى لصوت عربي واحد موحد لا يكاد أن ينطلق من اثير برلين حتى يتكهرب الاثير العربي بمجموعـه .. ولعمري ان هذا خير دليل على وحدة المشاعر .. وعلى ان صدى المستقبل في بغداد والقاهرة ودمشق وبيروت وعمان هو رجع الصدى المتدفق من معين عروبة واحدة واحساس نبيل واحد !

ان الامة العربية التي شجبت بمجموعها الاستعمار ، والحمـــاية والوصاية ومناطق النفوذ الاستعماري في بلادها قد كانت ولاتزال تجد في كل حركة تحررية استقلالية طريقاً للخلاص وللأنعتاق .. فكيف باذاعة برلين العربية التي لم ترسم طريق الخلاص فحسب.. بل سلمت العرب السلاح المناسب للانطلاق والتحرر .. وهـذا السلاح هو الثقة بالنفس واستعادة الايمان بالحق المشروع السليب.

على هذا الاساس عملنا ونعمل وسنعمل.. اما فقاقيع السياسة الملوثة باشباه الرجال فهي كالزبد تذهب جفـاء ولا يبقى الا ما ينفع الناس !

جنود ابطال !

لقد قطعت علي[1] المقدمة الآنفة الذكر سلسلة بحثي عن اذاعة برلين العربية .. وعن الرجال الذين تعاونوا معي في السراء والضراء وتحملوا في سبيل خدمة الرأي العام العربي ضد الاستعمار الغاشم .. وضد اذنابه العرب من كل همزة لمزة جمع ماله فعدده .. جحود الجاحدين.

ان اولئك الشباب المغاوير رجال « كوماندوس » مغاوير عرب ، صدقوا الله والعروبة ما عاهدوا .. فما وهنت عزيمتهم وما استكانوا .. ولم تفت في عضدهم غارات الحلفاء الجوية الساحقة الماحقة .. ولا الجوع .. ولا خفة الملابس في الشتاء القاتل .. بل استمروا في عملهم غير هيابين ولا وجلين يؤدون واجبهم .. ويطلقون اصواتهم مجلجلة بالدفاع عن حق العرب المهضوم .. وشرفهم المهان .. وحريتهم السليبة !

انهم جنود مجهولون .. لم يعودوا الى ديارهم حتى الآن .. مثلي بالضبط !

لقد شتتوا في كل قطر كالقطيع المشرد !!

ولقد قابلهم العرب بنكران الجميل .. وبجحود لا يحسدون عليه !

ان من السهل جداً على المرء ان يصير وزيراً في وزارة يسندها المتعاون مع الغرب او مع الشرق !! ولكن ليس من السهل ان تسخر جندياً عربياً يهبك نفسه بدون قيد او شرط ليتعاون مع اذناب الاستعمار بل يهبك نفسه لمجرد خدمة العروبة ، واستقلال العرب واستعادة حقهم المضيم !

وكل يعمل على شاكلته !

لقد تعلمت من الاحداث المروعة التي مرت بنا في الوقت

الذي كنا نقارع فيه الاستعمار ولا نزال .. ونجاذبه الحبل بصورة لن تدع مجالا للشك بأننا سنكون في خاتمة المطاف الطرف الخاسر !!

ومع ذلك كان عملنا يسير بأيمان وعقيدة .. وكانت بريطانيا ترتعد فرائصها عندما نذيع بانهـا خسرت من اطنان البواخر كذا و كذا ..

وندق اجراسنا من اذاعة برلين العربية لنخبر الملأ العربي بان بريطانيا قد خسرت في اليوم الذي اذعنا فيه النبأ مائة الف طن مسجل من بواخرها .. وبأن وبأن !!

لقد كنا ولا نزال نحارب بريطانيا وحليفات بريطانيـا .. ونحارب فرنسا من اجل الجزائر والمغرب العربي ونحارب الشيوعية واليهود !!

اننا نعمل مثل غيرنا على شاكلتنا ولا نريد ان نفرض ارادتنا على احد .. فلكل رأيه .. ولكل طريقة ولكل عقيدته ورائده !! وكل يعمل على شاكلته !!

نحن على الدرب سائرون .. والى الهـدف واصلون . ولن يثنينا عن عزمنا هذا حسد حاسد .. او فتنة لئيم .. او غرض مستغل ..

اننا نعرفهم جملة وتفصيـلا .. ومتى اردنا فاننا نضعهم في الميزان بملابسهم وبدون ان تستلزم الحالة تجريدهم منها !!

عبد الكريم السباعي !

تاجر كبير لبناني استوطن برلين منذ عام ١٩٢٠ على اقـل تقدير . وتنعم في خلال التضخم المالي الالماني بعد الحرب فاشترى العمارات ، وألف شركة الشرق الالمانية التي كان يستغل ريعهـا

وحده وبطرقه الخاصة .. انه طيب القلب حلو الحديث.. مظهره مقبول اكثر من اولاده .. بالرغم عن الشيب الذي وخط شعره بصورة جعلت راسه يبدو ، وكأنه لفافة قطن للمستشفيات !

ومع ذلك فهو ذكي والمعي .. ولكنه كان بخيلا للغاية !!

بيد ان لطفه غلب على بخله في ايام برلين الأخيرة عندما اصبح امين صندوق للمفتي الحاج امين الحسيني !!

لقد كنا نحن العرب في برلين بعد اشتعال نيران الحرب لا يتجاوز عددنا الثلاثمائة شخصاً من ابناء البلاد العربية بما فيها الطلبة .. والمشتغلين في الأذاعة .. وارباب الامـلاك ! وعلى رأسهم السيد عبد الكريم السباعي .

ان جل املاك السيد السباعي تقع في نفس الشارع الذي تقع فيه عمارة السيد موسى الشهبندر سفير العراق اليوم بواشنطن .. ومن اجل ذلك ارتبط الاثنين بصداقة متينة حملت السيد موسى على الزواج من ابنة السباعي قبل الحرب العالمية الثانية بعد سنوات..

ولمـا عين السيد موسى الشهبندر وزيراً مفوضاً للعراق في برلين بعد نقل صاحب السمو الملكي الامير زيـد بن الحسين الهاشمي من برلين . صار السيد السباعي يعتبر نفسه عميداً للجالية العربية .. ليس من ناحية الوجاهة والثراء وحسن المظهر فحسب ومن ناحية السن ايضاً .. بـل لأنه صار حمواً للوزير العراقي العربي .. في برلين !

الحب من البطن !

كان السيد عبد الكريم السباعي محباً «لبطنه..» فهو يجوب الاسواق في صباح كل يوم ليشتري نفـائس اللحوم والخضر

والفواكه «الرخيصة» ! وكانت خادمته «هيلدا» تبذل الجهـــد المستطاع لتلفيق وجبات طعام متعدد ومتنوع يعمر بها «ابوفؤاد» مائدته وبطنه .. ولعل الخصلة الطريفة التي اعجبتني في الصديق السباعي هي انه لا يستطيع ان يأكل لوحده .. ففي الايام التي لا تكون (البارونة) صديقته المختارة في داره .. فهو يطوف مقاهي كورفو ستندام بحثا وراء صديق ليشاركه الطعام على مائدته العامرة بصنوف الاكل !

ان السيد السباعي يسير على المثل الألماني القائل «الحب» يأتي عن طريق البطن ! اي ان الرجل الالماني يحب المرأة التي تجيد طهي الطعام الذي يشبع «البطن» والمعدة .. ومن اجل ذلك رأيت السباعي لا يتردد في حب خادمته وطباخته وسيدة بيته ببرلين هيلدا « حباً جاء » عن طريق بطنه أو معدته ..

وعندما وفد القائد العربي فوزي القاوقجي على برلين وشاركنا نحن الاثنين السيد السباعي في طعامه اللذيذ شعرت بدوري بأنه « حباً » جديداً قد جاءني بطريـق بطني .. وتطلعت في وجه الآنسة (هيلدا) فوجدته وجهاً يستحق (الشكر) فشكرتها « شكراً عربيـاً » كما يقول الصديق كامل مروة .. وهكذا شاركت السباعي في طعامه .. وفي حب هيلدا !

وكم تمتعت بالأكل والشرب والحب .. على حساب السيد السباعي في خلال السنتين الاخيرتين من الحرب .. وبناء على ما تقدم فانني اشكره شكراً عربياً صادقـاً .. وليس كالشكر العربي الجزيل الذي شكرت به هيلدا الجميلة !

***

مجلة الجهير

في مطلع شهر اغسطس ١٩٤١ أصدرنا العدد الاول من مجلة الجهير وهي مجلة شهرية للاذاعة العربية من برلين ، وقد تضمن المقالات التالية : ١ ـ الديموقراطية البريطـانية والعرب ! ٢ ـ وثيقة تاريخية مهمة ضد الشيوعيين ، ٣ ـ نجوى الملك الشهيد غازي ، ٤ ـ العلم والعلماء في المانيا الهتلرية ! ٥ حقيقة العلاقات العربية الانكليزية ، ٦ ـ مشروع مساعدة الشتاء النازي ، ٧ ـ شوقي والعقاد « صفحة ادب » انتقادية ، ٨ ـ انكلترا بلاء العالم ! .. ، ٩ ـ جمال الدين الافغاني « تراجم » ١٠ ـ برامج الاذاعات العربية من برلين !

زميل جديد !

عندما وقعت عيني النقادة على الدكتور حمدي الخياط الموصلي العراقي العربي الطالب في جامعة برلين لأول مرة وهو يتقـدم نحوي طالباً العمل في الاذاعة العربية علمت تواً بان هـذا الشاب المتحمس المندفع بكليته للاضطلاع بمهمة « مذيع ومحرر » يستطيع ان يقوم بالواجب المفروض عليه بمهارة .. فلقد كان يقـدم لي ادق التفاصيل عن البيانات والبلاغات الرسمية ، وتسجيل الاذاعات العربية الاجنبية التي كانت تلتقط ساعة بعد ساعة بالتوالي .

والحق فان حمدي الخياط كان شعلة ذكاء ، يعرف ماذا اريد قبل ان اتكلم ، ولكنه كان محبـاً للاطراء الى درجة متعبة .. فكان علي ان اثير فيه عاطفة الطموح والمثالية والتضحية، فما ان أتم عباراتي الا ويندفع كالسهم لانهاء العمل المنوط به بسهولة يحسده عليها رئيس « نقابة السلطان » البروفيسور فرج الله ويردي!

عبو عيني !

ان حمدي الخياط المذيع والمحرر الجديد في اذاعتنا العربية « هو اليوم دكتور ويصدر مجلة اقتصاديات الشرق -- اورينت ميركور -- بمدينة كولن بالمانيا بالعربية والالمانية واربع لغات غربية اخرى .. » طروباً لعوبا .. وله مواقف تميت من الضحك مع الدكاترة الامـاثل مأمون الحموي ورشاد الكزبري ومحمود الامين واحمد عبد الرزاق ..

لما رآني الدكتور الخياط واعني به حمدي اتخذ - هنـا برلين حي العرب - شعاراً لاذاعتنا العربيـــة راح يقدح زناد فكره لاختراع شعار مماثل « للاستهلاك المحلي » وليس للاذاعة .. فجاءني وهو يبتسم مختالا فخوراً ثم قال اسمع يا ابا لؤي : عبو عيني !! هل اعجبك هذا الشعار ؟

قلت اجل : عبو روحي !! عبو عيني !

وكلمة «عبو» هي اختصار لكلمة عبـــدالله .. وهو تعبير آشوري بابلي قديم .. فأهل الموصل العرب ، وكذلك الاكراد الاشاوس يستعملون هذا الاختصار في بعض الاسماء فيقولون لعبد الله ، عبو ، ويقولون لسليمان ، سلو ، ويقولون لعبدالعزيز عزو ، ولعبد المجيد ، ججو ، وهكذا دواليك !

لا شيوعية !

قام رجال بوليس «الغستابو» بحملة واسعة النطاق بين الاوساط العربية في خلال شهر كانون الثاني ١٩٤٠ بحثـــاً وراء العناصر الشيوعية والمبادىء الهدامة التي قيل انها قد انتشرت بين العرب من طلبة وغيرهم ، وقد قمت بتحريات واسعة النطاق ، وبحثت

عن سوابق من عرفت من العرب في المانيا وفي النمسا . وكذلك عن نشاطهم الحاضر، فلم اجد بين الطلبة العرب، ولا شيوعي واحد!

ان العرب الذين فضلوا البقاء في المانيا على العودة الى اوطانهم يوم ان دقت طبول الحرب لم يتأثروا بالمباديء الشيوعية التي كان سيل دعايتها ينهمر من اذاعة موسكو القوية باللغة العربية .. وكان من الطبيعي ان تبقى المباديء الهدامة الاخرى بعيدة عن الاوساط والمحافل العربية بعد السماء عن الارض .. فالشيوعية كالطاعون ما دخل مكانا الا ونقل معه الاوباء والمصائب والويلات!

وطنيون عرب

لقد لمست ان جل العرب الذين كانوا معنا في المانيا والنمسا وبقية الاقطار الغربية ، اللهم الا باستثناء فرنسا .. كانوا من الوطنيين العرب الذين فاخروا ويفاخرون بوطنيتهم العربية التي ما زادتها مظاهر الاشتراكية الوطنية المتلوية الا اشتعالا .. ولكن بعض الذين بقوا في فرنسا قد تلوثوا بالمباديء الشيوعية وبالمفاهيم الهدامة المخربة الاخرى .. ومن اجل ذلك فأننا صرفنا النظر عن التعاون مع جل العرب الموجودين في فرنسا ، وحصرنا الجهد في التعاون مع العرب الموجودين في المانيا وايطاليا والبلجيك وسويسرا.

كان التجاوب المستحب الذي لمسته من الاخوان العرب القاطنين في الاقطار الغربية الآنفة الذكر مدعاة للاعتزاز والفخر، فلقد اظهر جلهم ميلهم الا كيد للتعاون معنا حقاً أم باطلا .. وصار لسان حالهم يقول : انصر اخاك ظالماً أو مظلوما !

ولعل من الواجب ان اذكر بأن جل العرب الذين تعاونوا مع الحزب الشيوعي بفرنسا أو انخرطوا في عضوية الحزب ، لم

يفعلوا ذلك لاعتقادهم بأن الشيوعية من المذاهب المفيدة للانسانية أو انها مفخرة من مفاخر العصر الحديث ، بل فعلوا ما فعلوا نكاية بفرنسا المستعمرة . وتشفيا مـــن الغرور الاستعماري اللاتيني الذي لاحد له ولا عد !

ولنأخذ مثلاً الزعيم الجزائري المعروف مصالي الحاج ، فهو لم ينضم للحزب الشيوعي الفرنسي الا لأعتقاده بأن هذا الحزب ، هو حزب يساعد الجزائريين على نيل الحرية والاستقلال من فرنسا المستعمرة الغاشمة وهذا برهان قاطع على ان العقيدة الشيوعية لم تتغلغل في النفوس لمجرد كونها عقيدة شيوعية .. بـــل كانت وسيلة لمكافحة الاستعمار وتحدي القوى الاستعمارية المسيطرة !

السوريون القوميون

كنت في برلين عندما وفد عليها زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي المرحوم انطون سعادة .. وكانت علاقتي به ترجع الى سنوات عديدة سبقت الحرب العالمية الثانية الكبرى حيث تعاونت مـع والده الدكتور خليل سعادة في سان باولو بالبرازيل حيث كان يحرر في صحف عربية .. وكنت معه على وفاق تام في فكرته وفي المرامي التي يرمي اليها والده الحكيم الذي استحوذ علي ، واخذ بمجامع قلبي ، فلقد كان يرمي فيما يكتب ويخطب الى الوحدة السورية اولا ثم الوحدة العربية التامة الشاملة .. وكان يتدفق حكما بالغة في سبيل الوحدة العربية والاستقلال العربي التام الناجز ..

وعلى هذا الاساس استقبلت الزعيم السوري القومي المرحوم انطون سعادة في برلين قبيـــل الحرب العالمية الثانية .. وبالنظر للصلة الوثيقة التي كانت تربطني بـــه وبوالده المرحوم

الدكتور خليل سعادة فلقد حرصت على ان اقدم للحكومة الالمانية الهتلرية صورة صادقة عن الحزب السوري القومي الاجتماعي. وعن زعيم هذا الحزب .

جاء انطون سعادة الى برلين وهو يحمل قلبه على يده .. ولسانه يعبر عما في ذلك القلب الكبير من عواطف واحاسيس كان يصورها لنا بعبارات مقتضبة وهي ان قضية الوطن السوري يجب ان تسبق قضية الوحدة العربية .. فالوحدة العربية لن تستكمل اخراجها الا بعد وحدة سوريا ، سوريا الكبرى بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين والاردن والعراق والكويت ..

هتلر يقر سعادة !

انني كعربي قومي كنت ولا ازال احترم الاجتهاد في الاراء والمبادىء القومية .. فالزعيم انطون سعادة وان كان يختلف معي في المبدأ وفي الرأي حول قضية العروبة ، الا انني كنت احترم وجهة نظره في قضية سوريا الطبيعية والهلال الخصيب لأنها وجهة نظر عاقلة قابلة للتنفيذ اكثر من الوحدة العربية الشاملة في عهدنا الحاضر .. او بمعنى اكثر وضوحاً ان هتلر وقادة النازية كانوا يقرون وحدة سوريا الطبيعية او الهلال الخصيب .. وكان هتلر يعترف صراحة بأن الفكرة العملية لايجاد كتلة قوية في الشرق الاوسط لا مندوحة لها من اقرار فكرة الوحدة السورية اولا ، ثم التفرغ الى الدعاوة الواسعة النطاق للوحدة العربية الكبرى !
وهكذا فان الوحدة السورية صارت اساساً للوحدة العربية .

بل صارت في نظر هتلر الخطوة الاولى لجمع شتات الاقطار العربية التي كان يسميها الدكتور غوبلز ببراعته المعروفة « دول الفسيفساء .. »

لقد كان الدكتور غوبلز يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الوحدة العربية المنشودة غير قابلة التطبيق بالنظر للحزازات الشخصية بين زعماء العرب الاقطاعيين الانانيين المغرورين وبين الملوك العرب ففاروق كان لا يريد اتحاد العراق مع سوريا .. ولا يريد اتحاد الاردن مع العراق .. وكان يكره الملك عبدالله بن الحسين الهاشمي لانه يدعو لتأليف دولة سوريا الكبرى او بعبارة اخرى الهلال الخصيب !! ويغار من ولي عهد العراق سمو الامير عبدالاله بن علي آخر ملك هاشمي حكم الحجاز .

لقد أقر هتلر الزعيم انطون سعادة في وحدة سوريا الطبيعية .. او بالتعبير الاقل تواضعاً « الهلال الخصيب » ولما جاء الصديق انطون سعادة الى برلين اوضحت له وجهة نظر الزعيم هتلر فقال لي ان قصة سوريا شيء .. والوحدة العربية شيء آخر ..

ثم قال سعادة ان فكرة سوريا الطبيعية من الامور الطبيعية وانني اقر هتلر على موافقته عليها ! قلت ولكنني ارى ان هذه الفكرة تثير العالم العربي علينا وتجعل دنيا العرب تثور ضدنا بوصف كوننا نعمل في سبيل انشاء وطن قومي غير عربي ! يعني الوطن القومي السوري الفينيقي !!

الفينيقيون عرب !

قال الدكتور غوبلز اننا اذا اردنا ان لا نغالط التاريخ ونفتري على الحقيقة فلا بد لنا من التسليم بأن الفينيقيين كانوا عرباً ..

وبأنهم من الشعوب المتحدرة من اصل عربي .. ولكن التوراة التي صورت لنا ابناء اسماعيل واحفاد اسحق من الاب ابراهيم لم توضح لنا بأن أصل اليهود هم من ابناء ابراهيم الذي يعتبر في وجهة النظر اليهودية بأنه اسرائيل الاول .. خاصة وان الهكسوس « الرعاة » كانوا عرباً اصيلين من فلسطين حكموا مصر في الحلقة السادسة والسابعة من حكم الفراعنة في مصر حيث اقاموا الاهرام وشيدوا آثارهم فيها !

اتهام انطون سعادة

كنت في برلين عندما وفد المرحوم انطون سعادة على عاصمة الرايخ الثالث ، وبالنظر للصداقة القديمة التي كانت تربطني بوالده المرحوم الدكتور خليل سعادة في البرازيل وبانطون سعـــادة نفسه فكان من الطبيعي ان اقوم بالواجب نحوه فمهدت له كل الوسائل اللازمة لتسهيل مهمته ، وكان ممثـــل الحزب السوري القومي في برلين السيد مصون عابدين وهو من دمشق . كان هذا الشاب من انشط العاملين للتبشير بمباديء الحزب السوري القومي الاجتماعي وتعريفها للقادة النازيين .. وقد ادى لزعيمه سعادة اجل الخدمات في برلين .

كثر اللغط حول زيارة انطون سعادة برلين ، وتعددت الاشاعات والاقاويل حول اتصالاته بالقادة النازيين ، حتى ان الدعاية الاستعمارية الفرنسية راحت تكيل لسعادة التهم جزافاً زوراً وبهتاناً زاعمة بأن انطون سعادة قد قبض من هتلر « اموالاً طائلة » لتقوية الحزب

السوري القومي الاجتماعي ودعم مبادئه في الشرق العربي !!

هتلر يؤيد سعادة .

لقد كنت شاهد عيـــان حي ابان زيارة انطون سعادة برلين ، وقد سجلت جميع اتصالاته بالقادة الالمان والنازيين .. ومن اجل ذلك فـــأنني لا اذيع سراً اذا قلت بأن زعيم الحزب السوري القومي الصديق انطون سعـــادة لم يقبض قلساً واحداً لا من « الزعيم » هتلر ولا من اية جهة اخرى بل ان انطون سعادة دفع من ماله الخاص حساب الفندق الذي نزل فيه .. نعم ان قادة الحزب النازي اكرموا وفادة زعيم القوميين السوريين واستقبلوه استقبالاً حافلاً بالحفلات والمآدب ونوهت الصحف والاذاعات الالمانية بقوة شخصية انطون سعادة ونظام حزبه الذي كان الاول من نوعه في البلاد العربية مـن حيث غايته واهدافه وهي توحيد اكبر مجموعة من بلاد الجزيرة العربية .. وهذه النقطة الجوهرية الحساسة في نظام حزب سعادة هي التي اعجبت هتلر بالذات ، الامر الذي حمل القادة الالمان على دعم اعجاب هتلر بالاكثار من الحفاوة بانطون سعادة ..

جريدة الحزب السوري القومي الاجتماعي

لما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية منع الدكتور غوبلز وزير الدعاية الهتلرية دخول جل الصحف العربية الصادرة في مصر وفي بعض البلاد العربية باعتبار ان هذه الصحف كالمقطم في مصر والسعادة في مراكش والنجاح في الجزائر والنهضـة في تونس وطرابلس الغرب في ليبيا والبشير في لبنان، وفلسطين في فلسطين والكفاح في دمشق ، والاوقات العراقية في بغداد .. منعها من

دخول المانيا باعتبارها من الصحف التي تساير الفرنسيين والانكليز والطليان . . ولكن الدكتور غوبلز اصدر امراً بالسماح لجريدة الحزب السوري القومي التي اصدرها انطون سعادة في سان باولو بالبرازيل ان تباع في اسواق المانيا عامة وفي برلين خــاصة .. فكانت الجريدة العربية الوحيدة التي تقرأ بانتظام في برلين الى ان اعلنت البرازيل الحرب على المانيا في سنة ١٩٤٣

كانت جريدة الحزب القومي السوري تكتسح اسواق المانيا الهتلرية ، وهي تدخل بيت كل عربي لا لأنها الجريدة التي آمن العرب بمضامينها بل لكونها جريدة (مقروءة) وكان عنفها المركز على عقيدة صاحبها يذيع انتشارها ناهيك عــن النشاط المستحب الذي كان يبديه محررها المرحوم الصديق وليم بحليس .

مجلة الجهير

عندما اسست اذاعة برلين العربية لم يكن لدي الوقت الكافي وانا اعمل وحيداً للتفكير في إنشر جريدة أو مجلة تكون لسان حال الاذاعة العربية من برلين .. فتنشر برامج الاذاعة واهم الانباء والبلاغات الرسمية والتعليقات السياسية التي كنا نشنف بها اسماع العرب . فتبهت الكفار بالمباديء العربية القومية .. وتصلي المستعمر الغاشم نيراناً حامية .. وتأخذ بيد العرب المظلومين الذين اذاقهم الاستعمار صنوف الذل وانواع الامتهان ..

ولما كثر الرفاق في العمل معنا صممنا على سد النقص الكائن في اذاعتنا فقررنا اصدار مجلة تصدر مرة في مطلع كل شهر على ان يكون اسمها الجهير .!

وكانت الجهير في الواقع عند حسن ظن القاريء العربي من

حيث قوة التعبير والاخراج سواء في المادة السياسية او صور الانتصارات الصاعقية الجبارة في مختلف الجبهات والميادين .

بريد الشرق

وبعد عام من صدور مجلة الجهير لسان حال الاذاعة العربية من برلين اصدر الصديق الدكتور كمال الدين جلال مجلة عربية ثانية في برلين اسماها « بريد الشرق » وكانت خفيفة الظل غير انها تحررت اكثر من مجلة الجهير الرسمية المتقيدة بالديبلوماسية الالمانية المتارية التي فرضها عليها رجال فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ.

وكان الدكتور منزل مراقب الاذاعات الشرقيـــة بوزارة الخارجية الالمانية « وهو اليوم مستشاراً لسفارة المانية في احدى العواصم العربية » يسيطر على مقالات الجهير السياسية فلا ينشر الا ما يعجبه هو .. او ما يظن بأن حسن اختياره في النشر قد يعجب اسياده ورؤساءه بوزارة الخارجية الالمانية !

وهكذا «قيد» الدكتور منزل مجلة الجهير، وجعلها عرجاء، تمشي على ثلاثة كمشية العرنجل !

كانت مجلة بريد الشرق منتشرة في مختلف اقطار المغرب العربي ، وقد سبب نقلها بالطائرة لها الذيوع الذي استحقته ..

الديغوليون يتذمرون !

لقد سببت مجلة بريد الشرق التي كانت تنشر برامج الاذاعة العربية من برلين تذمر الحركة الديغولية في المغرب العربي، فلقد نبهت من لم يكن قد استمع بعد الى اذاعتنا العربية لكي ينصت الينا صباح ومساء كل يوم !؟

وانصبت علينا الرسائل والمقالات والقصائد من مراكش

والجزائر وتونس .. الامر الذي زاد في عملنا وجعلنـــا نفرد للمغرب العربي قسماً خاصاً في اذاعتنا حملنا على ان نخصص ساعة لاذاعة خاصة بالمغرب العربي ..

وقد اختارت وزارة الخارجية الالمانية مستشرق المـاني ، وهو نازي متعصب ، ركب العناد رأسه ، وصار علينا عبئـاً ثقيل الظل قاتله الله ان كان حياً ام ميتاً .. اجل اختاروا لنـا الدكتور فيشيكل ليكون مراقباً للاذاعة العربية الموجهة الى المغرب العربي .

اذاعة باللغة الدارجة

كان اول عمل حاول القيام به الدكتور فيشيكل في الاذاعة الموجهة الى المغرب العربي ان اقترح الاذاعة باللغات الدارجة في المغرب العربي .. وكانت نتيجة هـذا الاقتراح ، انني طردت الدكتور فيشيكل من مكتب الاذاعة العربية !

وجاء الدكتور منزل يحاول اقنـاعي بلزوم تنفيذ اقتراح الدكتور فيشيكل للاذاعة باللغة الدارجة !

قلت : ان هذا مستحيل !

قال : ولكن وزير الخارجية نفسه قد امر بهذا .

قلت : لا اقبل الاذاعة الا باللغة العربية الفصحى .

قال : ولكن المغاربة لا يفهمون العربية الفصحى كلهم !

قلت : ان قولك هذا افتراء على الحقيقة والواقع !

قال : ان المعلومات الرسمية التي لدينا تؤيد وجهة نظرنا ..

قلت : ان هذا ما يقوله المستعمرون الفرنسيون !

قال : لماذا ؟

قلت : لأن الفرنسيس هم الذين يريدون فرض اللغات الدارجة في بلاد المغرب العربي بغية ابادة اللغة العربية الفصحى ، وبالتالي اضعاف الشعور العربي القومي ، وخنق الحرية وروح الاستقلال في نفوس ابناء المغرب العربي البواسل .

قال : انك تغالي يا استاذ !

قلت : اذا كان التغالي في التمسك بالقومية العربية هو عيب فأنا سأبقى كذلك حتى النفس الاخير !

قال : والنتيجة ؟

قلت انني لن اقبل الاذاعة الا بـــاللغة العربية الفصحى وبالاسلوب الذي اختاره ..

قال : انك تريد ان تحدث لنا مشاكل !

مشكلة ديبلوماسية

قلت : من اي نوع ؟

قال : مشكلة ديبلوماسية !

قلت : مع من ؟

قال : مع حكومة فيشي .. حكومة المريشال بيتان !

قلت : هل تسمح ان تقول لي من هو الذي يحكم من ؟ هل ان المريشال بيتان هو الذي يحكم المانيا ؟ ام هتلر .. يعني المانيا ؟

قال : انني لست مستعداً للتحدث في هذا الموضوع ..

قلت : وانا لست مستعداً للاذاعة باللغات الدارجة في المغرب العربي .. كما انني لست على استعداد للسماح لكم بالاذاعة من اذاعتنا العربية .

قال : اذن سنفصل بين الاذاعتين !

قلت : افعل ما يحلو لك .. امـــا هنا في الاذاعة العربية ، فانني المسؤول الوحيد عنها ! اما في خارج مكاتبنا فانتم الاحرار السادة النجب !!

قال : ستؤسس اذاعة خـــاصة موجهة للمغرب العربي من راديو (موندیال)* في باريس !

قلت : اذن لا سبيل لمشكلة ديبلوماسية والحالة هذه .

قال : لقد كان الافضل ان نذيع من برلين ..

قلت : «ناين» يعني لا !!

وانصرف الدكتور منزل وهو يحرق الارم غيظاً ..

ناقوس الخطر !

لقد كنت اول من دق ناقوس الخطر للتحذير من شرور واثام الزعماء والمتزعمين في دنيـــا العرب من اذاعة قصر الزهور الملكي ببغداد ، تلك الاذاعة العربية الحرة التي اسسها الملـــك العربي العظيم الخالد غازي الاول عاهل وادي الرافدين رضي الله عنه ورضي العرب* طراً عنه ، ثم من الاذاعة العربية التي اسستها في برلين ، فاصليت اذناب الاستعمار وسماسرتـه وانصاره في الشرق العربي والمغرب العربي وناصرت الحركات التحريرية في الهند وايران والبلاد الاسلامية في روسيا الشيوعية وفي الشرق الاقصى بما في ذلك جزر الهند الشرقية « هندونيسيا » .

كنت اختار الزعماء والقابضين على اعنة الحكم في العالم العربي ، فاعطي كل واحد منهم ربع ساعـة في حديث مسهب يجمع الى سياسته التي يسير عليها في ركاب الاستعمار تحليلاً دقيقاً لشخصه

« الكريم » فامسخه قردا واجعله أمثولة تتحدث عنها الركبان.

عبد الرحمن الشهبندر

كان اول شخص ركزت عليه الحملة قبل نشوب الحرب بثلاثة اشهر المرحوم الدكتور عبدالرحمن الشهبندر الزعيم السوري العربي المعروف .. فلقد كان رحمه الله خطيباً مصقعاً وعلامة جليل القدر واسع الاطلاع وكان وهو على رأس كتلته السورية يؤلف خطراً مباشراً على المانيا الهتلرية في قطاع يعتبر مركز الثقل في دعايتنا العربية !!

فسوريا ولبنان بالنسبة لالمانيا كانا ولا يزالان من أهم مناطق الدعاية والتبشير في دنيا العرب الامر الذي استغلتها دعاية الحلفاء ضد هتلر وضد الحركات النازية التي كانت تناهض اليهودية العالمية وتناصبها العداء في كل مكان عامة ، وفي فلسطين خاصة ..

من اجل ذلك رأيت في قوة شخصية الدكتور الشهبندر وتأثيره في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن امراً اوجد لدعايتنا ضد الحلفاء (صداعاً) وتشويشاً لا يستهان به ..

نعم ان العراق العربي لم تكن تؤثر فيه دعاية الزعيم عبدالرحمن الشهبندر بالنظر للخصومات السياسية التي كانت مزمنة بينه وبين اقطاب السياسة العراقية العربية .. ولكن الشهرة الشعبية التي كانت للشهبندر في العراق لا يمكن نكرانها !

وقد استغلت بريطانيا وفرنسا تأثير الشهبندر على الرأي العام خاصة وان الشهبندر كان حديث العهد في المقام في سوريا ولبنان بعد ان سمحت له فرنسا بالعودة الى بلده دمشق من منفاه الطويل في القاهرة ..

حانوت الضباع !

تلقت المحافل العربية في مصر وسوريا حملتي العنيفة المركزة المنظمة على الشهبندر بكثير من الدهشة والذعر ، فلقد اخذت الشهبندر وكتلته على حين غرة .. وبصورة مفاجئة .. ولم ادع لهم ولصحفهم المجال للتهجم على اذاعة برلين العربية عامة ، وعلى شخصي (الكريم)خاصة فكالوا لي الشتائم والسباب من العيار الشامي الثقيل !

ولكنني مع ذلك كنت مؤدباً مـــع الزعيم الشهبندر ولم اتفوه ضده بكلمة نابية فيها تجني على شخصيته ، على انني مسخت سياسته ، الايجابية ، مع الحلفاء اعداء المحور الذين كانوا يستعمرون جل البلاد العربية ..

واذكر كيف ان جريدة النضال التي كانت تصدر يومئذفي دمشق كلسان حال للزعيم الشهبندر وحزبه ، وكان يشرف على تحريرها الصديق الدكتور منير العجلاني السياسي السوري العربي الكبير هاجمتني وهاجمت اذاعتنا العربية في برلين بمقال افتتاحي طويل بعنوان (حانوت الضباع) وبقلم الدكتور منير العجلاني نفسه !

وقد تفضل احد الاصدقاء في دمشق فبعث الي بـــالمقال المذكور انفاً ، فاعجبتني مضامينه .. لانني لمست (بالرغم عن انتهاك حرمتي ... فيه !) الاثر العميق الذي تركته اذاعـاتي القوية في نفوس الرأي العام العربي ..

لقد كنت أؤيد سياسة فخامة السيد شكري القوتلي التي كانت تعارض سياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وارى في سياسة القوتلي مناط الامل في تحرير سوريا ولبنـــان من نير

الاستعمار الفرنسي ، وهكذا فانني بدعايتي ضد سياسة الشهبندر قد خدمت المصلحة العربية القومية التي يرمي اليها القوتلي . . واضعفت دعاة السياسة الايجابية للتعاون مع الحلفاء .

كان النضال بالغاً أشده بيننا وبين كتلة الشهبندر عندما القت فرنسا السلاح امام هتلر وفي اليوم الذي وقعت فيه الهدنة بين المانيا وفرنسا اوقفت الحملة على الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وركزتها على السيد جميل مردم ، باعتبار كونه هو الآخر من دعاة السياسة الايجابية مع بريطانيا وفرنسا ..

لقد قيل لي آنذاك في برلين كيف تهاجم السيد جميل مردم وهو زميل للقوتلي في الكتلة الوطنية السورية العربية ؟

قلت انني احترم القوتلي واجل الكتلة الوطنية السورية العربية . ولكن حملتي على السيد جميل مردم هي حملة قائمة بذاتها لا علاقة لها بالقوتلي او بكتلته ، وانا في حملتي على السيد مردم انما اريد ان انقذ الكتلة الوطنية والسيد القوتلي نفسه من خطر هذا السياسي الداهية الذي لا يفوقه في القوة والدهاء السياسي الا فخامة السيد نوري السعيد ..

في النادي العربي ببرلين

قبل اندلاع نيران الحرب بشهرين كان الدكتور فريد زين الدين يزور برلين .. والدكتور زين الدين هو اليوم سفير سوريا بواشنطن ومندوبها الدائم في هيئة الامم المتحدة ، وكنت معه على خلاف دائم بسبب انتصاره لسياسة الدكتور عبـــد الرحمن الشهبندر وتحامله على سياسة المغفور له امير البيان الامير شكيب ارسلان منذ ان كان الدكتور زين الدين يدرس بمدارس العراق

في سنة ١٩٣٤ ..

وفي ذات يوم دعينا الى النادي العربي لحضور حفلة استقبال اقامها النادي لبعض ضيوف برلين العرب ..

كان النادي يعج بالزائرين ، واخص بالذكر الدكتور صائب شوكت عميد نادي المثنى العربي ببغداد والاستاذ عبدالقادر صالح القائم باعمال المفوضية العراقية ببرلين ، والاستاذ المجاهد درويش المقدادي والدكاترة بديع شريف وعلي الصافي وعبد الحميد الهلالي وفريد زين الدين ورشاد جاسم ورشاد الكزبري ومأمون الحموي.

وبعد ان تناولنا الشاي اعطيت الكلمة للدكتور فريد زين الدين باعتباره احد ضيوف الشرف .. فما كان من الدكتور زين الدين الا ان راح يغمز قناتي .. بالتهجم على سياسة الامير شكيب ارسلان وتأييد سياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر .. ثم اخذ يلومني على اذاعاتي ضد من يدافع عنه !

الصاع كيلاً وزيادة

تمالكت اعصابي بصعوبة ظاهرة .. وكانت الانظار متجهة نحوي ، والدكتور علي الصافي يتغامز مع الدكتور عبد الحميد الهلالي بانتظار رد الفعل الذي احدثه تهجم فريد زين الدين على الامير ارسلان وعلي !

انتهى الدكتور زين الدين من حديثه .. او بعبارة اصح من تجنيه ومغالطاته .. فلقد كان جنابه ولا يزال بارعاً في التجني على من يختلفون معه في الرأي ..

على ان هذا لا يمنعني من تقدير مواقفه العربية اليوم من اليهودية في اميركا وفي فلسطين العربية المحتلة من اليهود شذاذ

الافاق المجرمين.. وتأييده لحق الجزائريين المجاهدين في الحرية والاستقلال ..

اعطيت الكلمة.. وكم كانت دهشة القوم بالغة عندما سمعوني اتكلم بهدوء ، مفنداً اقوال الدكتور فريد زين الدين عبارة فعبارة .. فاستعدت حق الامير شكيب ارسلان ، وبرهنت على ان السياسة الايجابية التي يقوم بها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر هي سياسة لا تضر بسوريا ولبنان فحسب بل بالعروبة جمعاء ..

لقد انتزعت التصفيق والاعجاب انتزاعاً من الحاضرين او السامعين ، وكان جلهم من تلامذة الدكتور فريد زين الدين من بغداد .. فسجلت نصراً جديداً ما كان ليحصل لو لم يبادئني الدكتور زين الدين بالتجني !

وهكذا كلت لهم الصاع كيلا وزيادة !

نحن والوفد المصري !

كانت سياسة « ويلهلم شتواسه » وزارة خارجية الرايخ ترمي بثقلها لتأييد سياسة حزب الوفد المصري وعلى رأسه زعيم الوفد السيد مصطفى النحاس ..

على ان هذا التأييد الالماني لم يكن قائماً على أسس واضحة معينة ، بل كان تأييداً معنوياً مطلقاً ، اذ لم تكن هناك صلات مباشرة بين الخارجية الالمانية والوفد المصري الذي كانت برلين تعتبره اكبر حزب في مصر وفي بلاد الشرق العربي !

وقد اوصاني الدكتور غوبلز في أول اسبوع من شروعنا ببث اذاعتنا العربية بلزوم تأييد سياسة الوفد المصري ، وبث دعاية قوية لتمجيد اعمال زعيم الوفد . وحثه وتشجيعه بعناد

واستمرار على معارضة الانكليز في مصر والسودان .. واحباط مشاريعهم الاستعمارية في وادي النيل .

اما أنا شخصياً فكنت اؤيد حزب الاحرار الدستوريين ، وان لم اكن ضد الوفد بالمعنى الصريح ، ولكنني كنت معجباً بالرجل الطيب القلب الزعيم مصطفى النحاس ، ولكنني كنت ضد سياسة محمود فهمي النقراشي ، لانني كنت اعتبره رجل الانكليز الاول في مصر منذ سنة ١٩٣٣ .

قصتي مع النقراشي !

اجل كنت اعتبر محمود فهمي النقراشي الدعامة الاولى التي ارتكزت عليها بريطانيا في وادي النيل منذ عام ١٩٣٣ .. واذكر على سبيل المثال الحادث التالي الذي وقع لي معه في القاهرة :

كنت اكتب مقالات متسلسلة اسبوعياً في مجلة «السياسة» لسان حال حزب الاحرار الدستوريين لصاحبها ورئيس تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل .. وكانت مقالاتي هذه تنشر على الغلاف الاخير من المجلة وهي ابحاث سياسية واجتماعية عن رحلاتي التي كنت اقوم بها حول العالم بعنوان «سوانح سائح» !

وفي شهر كانون الثاني ١٩٣٣ كتبت مقالاً عن الشباب الهتلري وعن شباب الاحرار الدستوريين وقارنت بين الحركتين وقلت ان بريطانيا لاتنظر بعين الارتياح الى وجود حركة شباب متحررة في وادي النيل :

وبعد يومين من نشر المقال جاءني الصديق الاستاذ علي عامر وكان محرراً بجريدة السياسة وقال لي ان الاستاذ الكبير محمود فهمي النقراشي سكرتير حزب الوفد المصري يريد مقابلتي في

مركز حزب الوفد. قلت انني استغرب هذه الدعوة اذ لم يسبق لي شرف التعرف بهذا السياسي المصري الخطير !

قال انه يريد التعرف اليك ..

كيف طردني النقراشي ؟

واصطحبني الصديقين الاستاذين علي عامر ، وعبد الصبور قابيل الى مركز حزب الوفد .. ولم يطل الانتظار اذ لم نكد ان نصل حتى ادخلنا على السياسي المصري الكبير محمود فهمي النقراشي سكرتير حزب الوفد المصري الذي كان واقفاً الى جانب مائدة ضخمة فاستقبلنا بسيل منهمر من الشتائم !! وراح يصب علينا وعلى ابائنا واجدادنا شآبيب اللعنات باسلوب «شارعي» برهن فيه على انه «دكتور في السب والشتم من جامعة الازبكية ..» في القاهرة !

وقبل ان اتفوه بكلمة واحدة هجم على الاستاذ عبد الصبور قابيل وصفعه .. ثم التفت الي وهو يصيح باعلى صوته كالبعير الهائج .. سائح ؟ يعني سائح ايه .. وعراقي برضو !

واردف قائلاً أو صائحاً بلهجته الخالية من الأدب : انت بتتدخل بسياسة هاذا البلد ليه ؟

قلت معاذالله يا أفندم انا لم اتدخل !

قال اخرس يا واد ما تزعقش كدا ..

قلت حاضر !

قال : السفارة البريطانية كلمتني امبارح وهم زعلانين من مقالاتك ضد الانكليز .

قلت انني لم اكتب ضد الانكليز ..

قال اخرس يا واد.. انت عاوزني اصدقك وا كذب الانكليز!.

قال بلهجة الأمر وهو يصيح : اطلعوا برا يا اولاد الكلب . اخرجوا قبل ان اكسر راسكو بالنعال !

وخرجنا من لدن هذا السياسي الوفدي المهذب ، ذو الخلق الرضي !

غوبلز والحقيقة

قصصت على الدكتور غوبلز قصتي هذه مع محمود فهمي النقراشي، وافهمته بأن سياسة هذا الرجل قد بقيت على حالها لم تتبدل .. وبأن سياسته الايجابية مع بريطانيا كانت اقوى واشد من سياسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وسياسة جميل مردم مع الفرنسيين والبريطانيين ، فلقد كان النقراشي وصحابته مندفعين في تأييد سياسة الحلفاء ضد المحور .. حتى ان النقراشي لما صار وزيراً للداخلية بوزارة النحاس « باشا » في الاشهر الاولى من الحرب امر بوليسه السياسي بمراقبة جميع الشباب الذين درسوا في المانيا او الذين كانوا يتعاملون اقتصادياً مع المانيا الهتلرية باعتبار كونهم « ملوثين » سياسياً لتعاونهم مع النازيين !!

وقد رأينا كما سلف وعرضت في مستهل هذا الكتاب، كيف ان محمود فهمي النقراشي شدد على الدكتور كمال الدين جلال الخناق وقيد حريته عندما كان مديراً لدعاية بنك مصر ، حتى اكرهه على الخروج من بلاده مصر والعودة الى المانيا !!

ان موقف النقراشي هذا من الدكتور كمال الدين ، كان موقفاً من مواقفه مع ممن كانوا في المانيا .

وفي الحقيقة فأن الموقف العدائي الذي وقفه النقراشي من

المانيا والمحور كان الموقف الذي وقفه خلفه في وزارة الداخلية الاستاذ فؤاد سراج الدين ..

اخبرت الدكتور غوبلز بهذه الحقيقة ، فقال ارجو ان تكتب لي تقريراً عن هذا الوضع لأتخذ قراراً رسمياً يطلق لك حرية التصرف والقول في اذاعاتك من ناحية سياسة هؤلاء الاشخاص في مصر !

احمد ماهر ..

وضعت التقرير الذي وضعه الدكتور غوبلز فأجملت فيه الوصف مع ابداء رأيي الشخصي عن الساسة والمعارضين للمحور والمتعاونين مع البريطانيين في مصر . وقد يكون من المفيد ان انشر في هذه العجالة ملخص ذلك التقرير الذي وضعته ليقف العرب اليوم على رأي عربي في ساسة مصر العاملين في ركاب الحلفاء !!

لقد كان أول سياسي مصري توليت شرح حقيقته هو الدكتور احمد ماهر الشقيق الاصغر والأسمن « للاستاذ » احمد ماهر .. فلقد فضلته على سواه من محترفي السياسة المصريين «سابقاً» لعلمي بأن الدكتور ماهر هو اقوى واعنف سياسي مصري، وفي الوقت نفسه كان يتمتع برباطة جأش وهدوء تامين ، وكان يضبط اعصابه بصورة تدعو الى الاعجاب.. وليس كزميله محمود فهمي النقراشي الذي كان يثور كالثور في حلبة صراع الثيران يثور عندما يرى اللون الاحمر ..

واللون الاحمر في نظر النقراشي كان الرجل الذي لا يماشي سياسته البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية وفي خلالها ..

كان الدكتور احمد ماهر يختلف عن شقيقه علي ماهر في العمل السياسي، فأحمد ماهر يطيب له ان تتحدث الصحف البريطانية عن

مواهبه.. وكم من مرة ذهب الى السفارة البريطانية ليرى سكرتيرها الشرقي يحمل ما كنا نذيعه عنه من اذاعتنا العربية ببرلين.. وكان يزهو اعجاباً امام الانكليز بحصوله على شرف حملتنا عليه .. كل ذلك في سبيل خدمة الحلفاء..

اما علي ماهر فكان يتظاهر (على العكس من شقيقه احمد) بأنه يساير المحور ويظهر بعض الميل لتأييد اقوال الاذاعة العربية من برلين في ساسة مصر وسياستها يومذاك..

فاروق والمانيا !

ولما انتصرت جيوش الرايخ الثالث على بولنـــدا .. اعتقد (الملك الصـــالح فاروق) كما كان يسميه الكتاب ـ كتاب العرائض ـ العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكـل بأن الفرصة قد صارت سانحة له للاتصال بالمحور وبعبارة اصح بالمانيا بالذات.. لكي يضمن لنفسه ولعرشه البقاء ملكاً على مصر في حالة انتصار المانيا .. فأشار فاروق من طرف خفي الى علي ماهر ليقوم بجس نبض المانيا ..

وفي مساء ذات يوم من ايام حزيران ١٩٤٠ وصلتني اشارة لاسلكية سرية من القاهرة يقول فيها مراسلنا السري : ان الملك فاروق قد اشار على السيد علي ماهر ان يتصل بالامير شكيب ارسلان بجنيف ليقوم الامير بدوره بالاتصـــال بكم في برلين لاصدار تصريح رسمي تعترف فيه المانيا والمحور بفاروق ملكاً على مصر وباستقلال مصر !.

القاهرة مدينة مفتوحة !

ومما زاد في مخاوف الملك السابق فاروق واستعجاله للاتصال

بالمانيا هو ان السلطات البريطانية في القاهرة قد رفضت اعلان القاهرة مدينة مفتوحة ، في وقت ضرب فيه الاسطول الايطالي الفاشيستي مدينة ميناء الاسكندرية وقصفت الطائرات الايطالية بعض المواقع البريطانية في مصر .. كما انها اغارت لأول مرة على جزر البحرين في الخليج العربي ..

وبعد اسبوع من ذلك التاريخ تسلمت نص الوثيقة السرية التي قرر فيها الانكليز رفض اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة ، وهي برقية سرية كانت السفارة الفرنسية في لندن قد ابرقتها الى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس «بالشيفرة» عندما كان التحالف لا يزال قائماً بين انكلترا وفرنسا .. وهذه ترجمتها بالحرف الواحد :

نسخة الحفظ

وزارة الخارجية	
القسم السياسي والتجاري	الارسال لندن في ٧ حزيران ١٩٤٠
الوصول باريس: الساعة ٢٠	الساعة ٣٠ — ١٧
الرقم ٢٤١٥	الموضوع: خبر متعلق بجعل القاهرة مدينة مفتوحة
برقية بالشيفرة	

سري ومحفوظ ..

ذكر رئيس القسم المصري بوزارة الخارجية « البريطانية » لأحد معاونيه بعد ظهر اليوم ، ان المشروع المقترح من قبل الحكومة المصرية للحصول على موافقة السلطات البريطانية باعتبار القاهرة مدينة مفتوحة ، واعلان ذلك قد اهمل نهائياً تجنباً لما يمكن ان ينشأ عن مثل هذا التصريح من التنافر مع الاغراض التي تتوخاها وجهة النظر العسكرية..

الامضاء : كوربان

نص الوثيقة السرية باللغة الفرنسية

AFFAIRES ÉTRANGÈRES

DÉCHIFFREMENT

RÉSERVÉ

TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE

DUPLICATA bis

DIRECTION POLITIQUE
ET COMMERCIALE
Classement

LONDRES, le 7 Juin 1940 à 17 h 30
reçu le 7 Juin à 20 h. 00

N° 2.415

Réservé - Secret.

Le Chef du Département d'Egypte au Foreign Office a indiqué cet après-midi à l'un de mes collaborateurs que le projet mis en avant par le Gouvernement Egyptien et tendant à obtenir des Autorités britanniques que le (Caire) soit publiquement déclaré "ville ouverte" a été définitivement abandonné en raison des inconvénients qu'une (semblable) déclaration (pourrait) présenter au point de vue militaire./.

CORBIN

رد الفعل !

لما اعطاني الدكتور غوباز صورة هذه البرقية كتبت تعليقا سياسياً عليها ، وكانت جيوش الرايخ يومذاك تدك معامل فرنسا في شمال باريس ..

والى قراء — هنا برلين . حي العرب — نص ما قلته آنذاك خدمة للحقيقة والتاريخ والذكرى :

بالامس واليوم

واردفت قائلا من اذاعة برلين العربية : لقد ظلمت مصر ظلماً

شنيعاً ، واوذيت ايذآء فاحشا ، سوآء في عهد الحماية والوصاية « السافرة » او في عهدها الحالي « المقنع » الذي يسمونه اليوم « عهد الاستقلال . . » بل ربما كانت وطأة تلك المظالم اليوم شراً مما كانت عليه من قبل . .

ان الانكليز لما زادوا هذه الحرب اشتعالاً اقاموا في مصر « الحالة الاستثنائية » فوضعوا معاهدة ١٩٣٦ « على الرف » مع قلة جدواها . . واطلقوا ايديهم في البلاد . . ثم راحوا يتذرعون بسلاح المداورات والمناورات التي اسموها « مفاوضات » ولم تجد الاحتجاجات المكتومة التي قدمتها الحكومات المصرية المتعاقبة.

لقد كان غرض الانكليز وما زال منذ بداية هذه الحرب حمل مصر على اعلان الحرب على المانيا والمحور والانضمام الى صفوف الحلفاء . . ولكنهم لم يجدوا حكومة مصرية واحدة ولا برلماناً ، ولا رأياً عاماً يوافقهم على ما يريدون اللهم الا بعض الذين يتزعمون حزباً لا تقبل كثرته الساحقة جر الخراب الى البلاد . . وقد اعلنت مصر منذ البدء ان لا ناقة لها في هـــذه الحرب ولا جمل . . وانها تريد ان تبقى بمعزل عن النار . .

وتأكيداً لهذه الرغبة الصادقة تقدمت جميع الحكومـــات المصرية الى حكومة لندن طالبة اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة صيانة من اخطار الحرب التي تتعرض لها بوجودالقوات البريطانية والمعاقل الحربية في قلبها . .

اسباب الرفض البريطاني

ولكن السلطات البريطانية قد رفضت ذلك رفضاً قـاطعاً واصرت على الرفض — كما تشهد بذلك الوثيقة السريةالتي نشرناها

على الصفحة ... من هذا الكتاب - والغرض من الامتناع عن اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة ظاهر لاخفاء فيه . فهم يريدون حمل المحور على مهاجمتهم فيها ليتخذوا ذلك ذريعة للصياح بأن طائرات المحور قد هدمت اعظم مدينة اسلامية بما فيها « الازهر الشريف » والاثار العالمية الخالدة !

هذا هو الغرض الذي يرمون اليه : ولكنهم سيفشلون حتماً في هذه المحاولات الخائبة ، لأن مصر والعالم العربي اول من يعلم بان وجود الانكليز في قلب القاهرة لا مبرر له ولا معنى ، وهكذا فان كل اذى يلحق بمصر انما هو بسببهم ، اي بسبب وجودهم فيها .

واختتمت اذاعتي هذه بقولي: انسلامة البلاد المصرية امر .. وبحث الانكليز عن سلامتهم امر آخر ! وبين الامرين بون شاسع واختلاف بعيد .. فليتق الله في مصر اولاوها العاقون ..

الاتصال بالمانيا

وهكذا انتهت قصة اعتبار القاهرة مدينة مفتوحة بفضيحة تاريخية سجلتهاعلى صفحات الاثير ، فكانت نصراً جديداً لاذاعة « حي العرب من برلين » وفي الواقع فان ترديد الصدى لهذه الفضيحة كان بالغ الأثر في مصر والعالم العربي،فازدادت مخاوف الملك السابق فاروق ، وتفاقمت شكوك العرب وفار تنور الرأي العام العربي في كل مكان وصلت اليه اذاعتنا هذه ..

واشير الى السياسي المتهن علي ماهر بـأن « مولانا الملك الصالح» قد اولاه الشرف الاكبر بأن يعمل على الاتصال بالمانيا

بالسرعة الممكنة .. فاتصل بالامير شكيب ارسلان ونقل اليه (الرغبة السامية) !

ولما تسلم الامير رحمه الله رسالة علي ماهر التي وصلته بواسطة رسول خاص (على ما اذكر) كتب الي الامير يقول : ان التصريحات التي اذعتموها على لسان المانيا حول ضمانها استقلال مصر والبلاد العربية الحليفة لبريطانيا والكائنة تحت حمايتها هي تصريحات تذروها الرياح في الاثير !

فاذا كان أصحابك الالمان يريدون حقاً حفظ استقلال مصر والبلاد العربية فليقدم التصريح مكتوباً وموقعاً من وزراء خارجية المحور لتقدم نسخاً منه الى الدول العربية المعنيـــة في التصريح ، وبهذه الصورة نضمن التعاون العربي ـ الالماني سراً الى ان يحين الوقت لأعلان هذا التعاون صراحة على رؤوس الاشهاد !

وعدوا خيراً ..

عرضت رسالة الامير شكيب ارسلان على الدكتور غوبلز فابتهج كثيراً بهذه الانباء السارة المدهشة حقاً ولكنه من شدة الفرح نسي ان يخاطبني في موضوع التصريح الرسمي الذي طلبه الامير شكيب ، وحصر كل اهتمامه بموضوع رغبة مصر بالاتصال بالمانيا .

لقد ابدى وزير الدعاية الدكتور غوبلز ارتياحاً تاماً لهـذه النتيجة التي توصلنا اليها وقال انه سينقل الى « الزعيم » هتلر هذه المعلومات الثمينة التي ستغير مجرى التاريخ ، وتوصل الحرب الى نهاية مبهجة للمحور .

قلت ياهر منبستر بماذا اجيب عن ناحية «المفاوض المصري»؟

قال بلغ الامير باننا على استعداد تام لاستقباله هنا .

قلت اذن سأبلغ الامير بأن يكون المفاوض المصري غير الاستاذ علي ماهر !!

قال لماذا ؟

قلت الم اكتب لك بتقريري عنه وعن شقيقه احمد ماهر التفصيلات الكافية الوافية !!

قال افعل ما تراه مناسباً .. اننا بانتظار المفاوض . وان كل شيء سيتم على مايتفق مع المصلحتين ..

غضبة الامير !.

وشرحت للأمير شكيب ارسلان ما دار الحديث حوله ، واكدت له بان موضوع التصريح الرسمي المكتوب الذي سيصدر هو قيد الدرس على المستوى العالي بين وزير خارجية الرايخ وبين وزير خارجية الفاشيو !!

اما قضية « المفاوض المصري » فلقد ارتؤي ان يكون غير السيد علي ماهر ... وفي هذه الحالة فان برلين ترحب بقدوم المفاوض المصري وسيكون ضيف الشرف في عاصمة الرايخ !

وبعد اسبوع تلقيت رسالة من الامير شكيب بواسطة القنصل الالماني من جنيف حشاها بهجوم عنيف علي شخصياً ، ذاكراً بانني احاول ابعاد السيد علي ماهر الديبلوماسي البارع والسياسي المحنك عن طريق المفاوضات المصرية – الالمانية ، وأكد لي بأن علي ماهر من اخلص الساسة المصريين !

ثم قال الامير في خاتمة الرسالة ان المانيا اذا لم تصدر تصريحاً رسمياً يذاع وينشر في الصحف عن ضمان استقلال مصر والبلاد

العربية فان « المفاوض المصري » أو أي مفاوض عربي آخر لن يحضر الى برلين ..

لقد كان رحمه الله على حق في طلبه هذا فرأيت ان الواجب يقضي علي ان احث الجهات الالمانية المختصة على اصدار مثل هذا التصريح اغتناماً للفرصة السانحة التي صارت بين ايدينا .

التصريح الوسمي

اثر الحفلة الكبرى التي اقامها « الفوهرر » لقادة الجيش الالماني المنتصرين الظافرين في جبهة بولندا والجبهة الغربية ، تلك الحفلة التي قلدهم فيها عصا المريشالية اصدرت وزارة الخارجية في «ويلهلم شتراسه » تصريحاً رسمياً بالاتفاق مع ايطاليا جاء فيه ما نصه :

ان المانيا وايطاليا تراقبان الحركة العربية الاستقلالية في مصر والعالم العربي بمزيد العطف، وانهما تعترفان بحقوق العرب السياسية والطبيعية والتاريخية ..

وقد اذعنا هذا التصريح المشترك من الاذاعة العربية ومن الاذاعات باللغات الانكليزية والفرنسية من برلين .. كما نشرت الصحف نصه .

ولم نكتفى بذلك بل ابلغنا الكثيرين من رجالات العرب ، كما ان «الزعيم» هتلر قد اجاب في برقية على برقية تسلمها من الحاج امين الحسيني قد قال له انه « يتمنى تحرير الامة العربية !.»

وبمثل ذلك اجاب غراف فون ريبنتروب وزير خارجية الرايخ الثالث في برقية على برقية السيد رشيد عالي الكيلاني .

تعليق على التصريح

بعد ان اذعت نص التصريح قرأت على السامعـــين تعليقي

السياسي وهذا ملخصه :

اننا كررنا في الماضي ولن نبرح نكرر في المستقبل الى آخر نفس من انفاسنا اننا لا نعرف بين الامم الاوروبية فرقاً، وليس منها في نظرنا قريب وبعيد .. وشقي وسعيد .. وليس منها من هي بنت عمنا، او بنت خالتنا فجميعهن عندنا سواء لا نفرق بين واحدة منهن واخرى الا في قضية الاعتداء علينا نحن العرب .. فنحن لا نحب منهن الا الدولة التي تحترم استقلالنا ، وتتجنب هضم حقوقنا ، وتعاملنا معاملة الاقران والامثال ، اي معاملة الند للند وعلى صعيد واحد . ثم اننا لا نكره منهن الا الدولة التي تعتدي على بلادنا وتعبث باستقلالنا ، وتغتصب حقوقنا كما حصل من اكثرهن الى الآن .

اننا نصدق مبدئياً بيانات دولتي المحور الموجهة لنا نحن العرب اعتماداً على انها تريدان التقرب من العرب والتعاون مع العرب على صعيد واحد وعلى المستوى العالي .. ولانها بهذه البيانات الرسمية قد افسدا خطة الحلفاء الرامية للامعان في اذلال العرب ! بالامس واليوم !

وأردفت الى ما تقدم قولي :

ان المانيا على الاخص لا يؤاخذها الله بسفك دم عربي واحد — وهنا غمزت بصراحة قناة ايطاليا بالنسبة لليبيا واريتريا والصومال !! — ولا هضم حق عربي ولا غصب ملك واحد من هذه الامة العربية المنكوبة بالاستعمار .. بينما ضربت الدول الاخرى المعادية لالمانيا الذلة والمسكنة والعبودية على ١٠٠ مليون عربي في مشارق الارض ومغاربها !!

ولهذا فنحن معذورون في عدم تصديق مواعيد وعهود هذه الدول الغربية ورفيقاتها في الاستعمار .. لقد كانت هذه حالنا مع انكلترا وصويحباتها في الاستعمار وهي بعد لم تزل عدوة البلاشفة . فما بالك اليوم وقد حالفت روسيا الشيوعية ، وصارت يداً واحدة معها ، وجاءت تجبر مصر والشام والعراق على قبول الشيوعية فيها (ملاحظة : كأن ما يحدث اليوم هو نفس ما حدث في سنة ١٩٤٢ بالضبط !!) لا بل اخذت بريطانيا تمهد السبيل لانتشار الشيوعية في جميع بلاد العرب والمسلمين .. — التاريخ يعيد نفسه اليوم ايضاً !!—

لقد اصاب الاسلام في روسيا الشيوعية من مصائب البلاشفة في انحلال الاخلاق والعقائد وتلاشي الآداب والقواعد ما يفتت الاكباد ويذيب الجماد ومـــا نحن ادرى به ، فكيف انتشار الشيوعية في البلاد العربية كلها وهو امر لا بد منه بتواطؤ روسيا الحمراء مع انكلترا وخطر محدق بنا جميعاً ان كان النصر النهائي في هذه الحرب سيكون «والعياذ بالله » للانغلوسكسون والبلاشفة !

وهذه هي النتيجة !

ان ما انذرت به بريطانيا والغرب بأقوالي الآنفة الذكر قبل ١٥ عاماً من تاريخنا الآن قد حصل بالفعل فلقد تركت بريطانيا حبل روسيا الحمراء على غاربها فراحت بأسم التحالف مع بريطانيا تتغلغل في بلاد العرب .. وجعل الحمر ينشرون ظلهم في كل مكان كانت بريطانيا تحرص على ابعاد الروس عنه !

اننا اليوم نقف واجمين ناقمين على هـــذا التباله البريطاني في سياستها حيال العرب ، فلقد فقدت (سيدة البحار) كل عطف

عربي ، وخسرت صداقة العرب ، بل اكرهت القسم الاكبر من العرب والدول العربية على التعاون مع روسيا الحمراء وقبول التعامل مع البلاشفة ..

ان من الخطأ الفاضح ان نلوم ساسة العرب وقادة الرأي فيه لأن بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر قد ارتضت لنفسها ان تتسلح بالاسلحة الروسية او الاسلحة الصادرة عن مناطق النفوذ الروسي في اوروبا الوسطى او اوروبا الشرقية ..

فاذا كان الانكليز والاميركان والفرنسيس يمنعون العرب من شراء السلاح باموالهم ونفطهم ، ويغدقون على طفلهم (المدلل) اليهود الذين استعمروا ارض العرب الطاهرة فلسطين ، المال والسلاح والحماية ، فما هي حيلة العرب في اخذ السلاح ليس من روسيا فحسب ، بل من الشيطان الرجيم !

دقة بدقة !

اننا ضد الشيوعية وضد المبادىء الهدامة ، بلى وضد كل عقيدة تضر بالصالح العربي من مراكش الى السودان .. ومن بغداد الى تطوان !

ولكن العرب بقبولهم اسلحة روسيا الحمراء لا يتجنون على بريطانيا وحليفاتها ، لان بريطانيا هي التي تجنت على العرب ، ودفعتهم بيدها الى الجانب الاحمر لاخذ السلاح الاحمر بغية الدفاع عن النفس والاستعداد لصد العدوان اليهودي الذي يمعن في العدوان على العرب بالاسلحة البريطانية الاميركية الفرنسية الكندية !

لقد كنا نربا ببريطانيا ان تنصر اليهود على العرب ، وان

تصر اميركا بعناد على معاكسة العرب والتفريط في حق العرب المشروع في فلسطين وفي غير فلسطين . وان تركب فرنسا متن الشطط والأجرام في ارض العرب « الجزائر » فتهلك فيها الحرث والنسل .. لا لشيء سوى الامعان في استعمار ارضنا الطاهرة «الجزائر» وابقاءها مرتعاً خصباً للقتلة والسفاحين من المستعمرين !

اننا نحن العرب مع الغرب في « المصالح المشتركة » ولكن هذا الغرب قد برهن باعماله واقواله على انه ضد العرب من الألف الى الياء .. فحمل العرب على ان يكونوا ضد الغرب ..

فاذا كانت سياسة الغرب قائمة على ان يأخذ منا ، ولا يعطينا الا القول الذي لا « معروف » فيه ، وينصر فضـــلا عن ذلك عدونا علينا ، فان من حق العرب التقدم الى فسخ عقود المصالح المشتركة !!

نحن عرب احرار ..

ان العرب امة حرة في استقلالها ، حرة في تصرفاتها ، حرة في اختيار الصديق الذي يقابلها بالمثل ، والحليف الذي يرعى الذمار ويحفظ العهد ، وينمي موارد المصالح المشتركة ، ولن يفرط في الحق المشروع ، ويعتدي على حق الشراكة ، ويؤذي التعايش السلمي .

ان العرب امة قد بلغت الرشد وشبت عن الطوق ، ولم تعد ترتضي لنفسها حماية احد .. او وصاية سيد .. فاذا كانت الدول الكبرى تريد « فرض » صداقتها وتحالفها على من تسيء اليهم .. وتقصر تقصيراً فاضحاً معيباً مع العرب ، فانها تخطىء في حسبانها وتقديرها .. لان زمن التهديد بالاساطيل الجوية ، والمناورات

البحرية والبرية قد ولى واندثر ، الى حيث لا رجعة !

فلقد بلونا من دسائس الاستعمار وحيله ومكره ومكايده وغدره ونكثه ما لا تحيط به المجلدات !

ان شعارنا نحن العرب الاحرار قد كان ولا يزال وسيبقى: بلاد العرب للعرب .

حي العرب .. يونس بحري

تواصل مذكرات هنا برلين حي العرب في الحلقة السادسة

« المفتي والكيلاني !! خليفة المسلمين ... ورئيس دولة !! »

نلفت انظار القراء الكرام باننا قد قطعنا علاقاتنا مع دار النشر للجامعيين والمراجعة في جميع شؤون « هنا برلين حي العرب » تكون مع المؤلف مباشرة حسب العنوان التالي :

بيروت — ساحة رياض الصلح

بناية غراوي

مكتب رقم ٨٠

الاشتراك السنوي في دنيا العرب عشر ليرات لبنانية او ما يعادلها

هنا برلين حي العرب

اروع المذكرات السياسية والتاريخية يكتبها في سلسلة شهرية
الكاتب العربي الاشهر يونس بحري

الجزء الاول

المؤلف يتحدث عن تأسيس اذاعة العرب من برلين ، وعلاقات الزعماء العرب بالمحور فيكشف عن اعظم اسرار الحرب العالمية الثانية . وما رافقها من احداث خطيرة

الجزء الثاني

زعماء النازية كما عرفتهم

هتلر زعيم الرايخ — اسرار فرار هيس — الغرام عند النازيين ... المعاشرة بلا زواج ! ايفا براون وماجده غوبلز

الجزء الثالث

هتلر والشيوعية

صفحات رائعة في الصراع بين النازية والشيوعية ، لم يسبق لاي كاتب سياسي في العالم العربي الوصول الى معرفتها . الحياة الشيوعية ومآسيها . سيطرة اليهود المجرمين على البلاشفة !!

الجزء الرابع

هتلر والقادة العرب في برلين

المفتي ، والكيلاني ، والقاوقجي .. ماذا فعلوا ؟ علاقاتهم .. وخلافهم

اذا فاتك ان تقرأ الجزء الثاني من سلسلة



الذي يتناول تحليلاً شاملاً عن حياة هتلر ومعشوقته ايفابراون

صدرت الحلقة الرابعة من سلسلة :

هنا برلين ! حي العرب !



اطلبوها من :

وكلاء التوزيع في دنيا العرب والعالم
شركة فرج الله للمطبوعات

وجميع المكاتب وباعة الصحف